



# المرأة في الإسلام

الشيخ محمد الفرزالي

د. محمد سيد طنطاوى

د. أحمد عمر هاشم



# المقدمة في الإسلام

الشيخ محمد الفوزان  
د. محمد سعيد طنطاوى  
د. أحمد عمر هاشم

**(فبراير)**

ادارة الكتب والمكتبات

---

الغلاف برئاسة : سيد عبدالفتاح

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

.... يا صافية عمة رسول الله .. ويا فاطمة بنت رسول الله :  
« اشتريا أنفسكما من الله ، فإن لا أغني عنكما من الله شيئاً » .

كان هذا النداء تلبية واستجابة لنداء عال حلمه جبريل من الملأ الأعلى  
ليقول للنبي صلى الله عليه وسلم : « وأنذر عشيرتك الأقربين » فينهض  
عليه السلام - من فوره ويصعد إلى جبل الصفا ليبلغ كلمة الله إلى الناس  
فينادي : يا بني عبدالمطلب اشتروا أنفسكم من الله .. يا صافية عمة  
رسول الله .. يا فاطمة بنت رسول الله ..

وهذا الكتاب الذي يتحدث عن المرأة في الإسلام ، والذى يقدمه  
الداعية الإسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالى والدكتور محمد سيد  
طنطاوى مفتى الجمهورية والدكتور أحمد عمر هاشم أستاذ مادة الحديث  
ال الشريف في جامعة الأزهر .. هذا الكتاب يضع أمام القارئ - وفي ضوء  
القرآن الكريم والسيرة النبوية والسنّة المطهرة - مدى الحفاوة والرعاية  
اللتين خص الإسلام بهما المرأة : أم الرجل وبنته .. وزوجته وأخته ..  
و قبل ذلك وبعد ذلك نصفه الآخر الذى به يكتمل ويتكامل ليكونا معاً :  
الإنسان .. خليفة الله على الأرض .



## في ضوء المسيرة النبوية

- هكذا كان .. قدرها !!
- في الجاهليات .. القديمة !!
- زوجات الرسول ..
- في العلم .. والأدب
- ماذا تفعل .. نساونا ؟

يكتب هذا الفصل

الشيخ محمد الغزالى

## ﴿ هكذا كان .. قدرها ! ﴾

كلما رجعت إلى السيرة النبوية ازدادت معرفة بما كان للمرأة من مكانة ، وبما كفله الإسلام لها من حقوق ، لقد كانت لها شخصية مقدورة وأثر يحسب ! يقول المحدثون : لمانزل قول الله لنبيه « وأنذر عشيرتك الأقربين » صعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصفا ونادى : « يا بنى عبدالمطلب اشتروا أنفسكم من الله ، يا صفية عممة رسول الله وبها فاطمة بنت رسول الله : اشتريا أنفسكم من الله فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً ، سلان من مالى ما شئتم ». إن نداء المرأة بهذا الصوت الجهير شيء مستتر في عصرنا الأخير ، كنا نعد اسمها كشخصها عورة لا يجوز أن يعرف ! ونقول : ما للمرأة وهذه الشئون ؟ يكفي أن يحضر رجل من أسرتها ليبلغها ، أما أن تنادي على رؤوس الأشهاد بذلك عيب !

لكن المرأة في صدر الإسلام عرفت قدرها ، ولما سمعت منادياً يدعو إلى الإيمان سارعت إلى تلبيته .

ويحكى المؤرخون أن اخت عمر بن الخطاب كانت أسبق منه إلى الإسلام ، لقد أدمى وجهها عندما علم بإسلامها وهاجمها بقسوة فقالت له : يا عمر إن الحق في غير دينك ، وإن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ! ثم أسلم عمر بعد !!

ودخل الرجال والنساء في دين الله ، وأعطوا المواثيق على اعتناق الحق والعمل به والذود عنه ، وانتظمت الصفوف في المسجد النبوي تستوعب الرجال والنساء على سواء .

روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت : « ما أخذت « ق و القرآن المجيد » إلا من لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الجمعة يقرأ بها على المنبر في كل جمعة ». أي أنها حفظت السورة كلها عن ظهر قلب من شدة انتباها وهي تسمع الخطبة !

وكانت سنة رسول الله في الخطابة أن يتلو القرآن الكريم وحسب ! وهي سنة مهجورة الآن ، كما أن من السنن المهجورة حضور النساء الجموع والجماعات ..  
الا يشير ذلك شيئاً من التساؤل والدهشة ؟

ومن الطرائف أن امرأة كريمة موسرة كانت تصنع وليمة بعد الجمعة يحضرها من شاء ، روى البخاري عن سهل بن سعد قال : « كانت منا امرأة تجعل في مزرعة لها « سلقا » فكانت إذا جاء يوم الجمعة تنزع أصول السلق فتجعله في قدر ثم تجعل عليه قبضة من شعير بعد أن تطحنه ، ف تكون أصول السلق عرقه - مرقة - قال سهل : كنا نصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلم عليها ، فقرب ذلك الطعام إلينا ، فكنا نتمنى يوم الجمعة لطعمها ذلك ، ولم يكن في الطعام لحم ولا دهن ... » .

هذه امرأة مؤمنة سمح لها تدخل السرور على الناس بما آتاهها الله من فضله ! ولو فعلت ذلك في عصرنا لأنكر المترمرون عليها ! ولقال كل جريء على الفتوى : كيف يُلقى عليها السلام ؟ وكيف ترده ؟ وكيف تلقى الضيوف ؟  
إلخ .

إن تقاليد المسلمين في معاملة النساء لا تستند إلى كتاب أو سنة .. وقد نشأ عن ذلك أن المثقفات في العصر الحديث تجهّم للتراث الديني كله يحسّبه السبب في تجاهيل المرأة ، وهضم مكانتها ، وإنكار حقوقها المادية والأدبية التي قررتها الفطرة وأكدها الوحي وبرزت أيام حضارتنا واستخففت مع انتشار القصور وغلبة الأهواء .

## هل دلل الإسلام المرأة ؟

قالت إحدى النساء : إن الإسلام هضم المرأة إذ جعل الرجل قادرًا على تطليق زوجته متى شاء ، إن هذه القدرة المتاحة له سيف مصلحت على عنق المرأة يهددها ويذلها !

قلت : يمكن في المقابل أن يزعم الرجل بأن الإسلام دلل المرأة ويسّر لها التمرد إذ أباح لها مخالعة الزوج وترك البيت عندما تشاء !

إن تصوير أحكام الأسرة وحدود الله داخل البيت المسلم لا يسُوغ أن يقع في هذا الإطار المتورّ الخائق ، ويبدو لي أن تقاليد الشرق ، والأعراف الشائعة فيه من وراء هذا العوج الفكري ..

فالرجل رب البيت والقيم على الأسرة ، بيد أنها في أغلب الأحيان نظرَ الرئيس لوناً من الفرعونية أو الانفراد بالسلطة فلا تفاهُم ولا شورى ! الرئيس لا يعْرِف برأي آخر ولا يكتُرث بإرادة أخرى !

وهذا الفهم لمعنى الرِّيَاسَة أَسْقَطَ الشَّرْقَ سِيَاسِيَا واجتِماعِيَا ، وأَضَرَ بالدول والبيوت عَلَى سُوَاءٍ .

إن الرِّيَاسَة الصَّحِيحَة عَبْءٌ زَائِدٌ ، وَمَسْؤُلَيَّة أَثْقَلٌ ، وَهِيَ فِي الْبَيْتِ الْإِسْلَامِيِّ تَتَمَّمُ بِجَمْلَةٍ مِنَ الْحَقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ الْمُتَبَادِلَةِ كَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : « وَمَنْ مِثْلُ الدُّنْيَا عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرْجَةٌ » .

وأَسَاسُ التَّعَامِلِ الْخَلُقِيِّ ، وَالْحُبُّ السِّيَالُ ، وَالْإِيَّاثُ الدُّنْيَا يَرْجِعُ الْفَضْلُ عَلَى الْعَدْلِ ، وَالتَّرْفُعُ عَنِ الْمُلْاحَظَةِ الصَّغَافِرِ ! وَمِنْ أَدْبُرِ الْعَرَبِ فِي بَنَاءِ الْأَخْلَاقِ وَتَقْوِيمِ السُّلُوكِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

وَلَا خَيْرٌ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَنِبْلَاهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عَقُولُ !  
وَلَمْ أَرْ كَالْمَعْرُوفِ ، أَمَا مَذَاقَهُ فَحُلُوُّ ، وَأَمَا وَجْهَهُ فَجَمِيلٌ !  
ذَرِينِي فَإِنَّ الشَّحَّ ، يَا أَمَّ هِيشِمَ لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقٌ !  
لِعُمرِكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادُ بَأْهَلِهَا وَلَكِنَّ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ تَضِيقُ !

وقد لاحظت في سورة النساء الصغرى : « الطلاق » أن الإسلام شديد الحرص على مزج التشريع بالتربيَّة الأخلاقية ، والأحكام العملية بالأداب النفسيَّة مثل « سِيَجِيلُ اللَّهُ بَعْدِ عَسْرٍ يَسِراً » ومثل « مَنْ يَتَقَّنَ اللَّهُ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يَسِراً » ومثل « مَنْ يَتَقَّنَ اللَّهُ يَكْفُرُ عَنْهُ سَيَّئَاتِهِ وَيَعْظِمُ لَهُ أَجْرًا » والويل للبيوت إذا تركت منطق الدين والخلق واتجهت إلى القانون والقضاء ..

إن المجتمعات في الشرق والغرب اعترفت بأن الطلاق قد يكون ضرورة نفسية واجتماعية ، وأنه ليس سوطاً في يد الرجل بل قد يكون فكاكاً لإسار

المرأة . وأعرف أسر إسلامية جعل الدين أفرادها جسداً واحداً فما يعبرُ الطلاق بخاطر أحد ! إن تمسكها أمن وأذكي .

ولكن الأمة الإسلامية في أيام اضمحلالها العقل والنفسى نسيت وظيفة الأسرة وتنشئة الأولاد وبناء المستقبل على الحاضر ، وربما علق أحد الناس مستقبل بيته على رطل لحم يرفض شراءه ! فيحلف بالطلاق على ذلك !

ماذا نقول إلا ما قاله الله في هذه الأحوال وهو يختتم سورة الطلاق « وكأين من قرية عنت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً ، وعدذبناها عذاباً نكرا . فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا » .

### باسم الإسلام .. المفترى عليه !

خطر لي أن أعرف المستوى الثقافي للمرأة المسلمة في صدر الإسلام ، وقبيل شروق شمسه !

إن الثقافة الغزيرة تعين الرجل والمرأة كليهما على ضبط الحقائق وإحسان الحكم على الأمور والإشراف على تربية الأجيال الناشئة تربية مثمرة مجدهية . وقد رأيت الابتعاد عن المصادر المتهمة والاتجاه إلى الشعر - وهو ديوان العرب - لأنحس سيرة المرأة وخلقها و موقفها من القيم السائدة في المجتمع ومدى وفائها للفضائل الإنسانية على الإجمال !

ووقع في يدي - على غير تعمد - ديوان الحماسة لأبي تمام ، وشرعت أقرأ باب الرثاء ! فوجدت مراثي حارة لنساء كثيرات ي يكن فيها أحباءهن ، ورأيت أن أختار منها أولاً هذه الأبيات لعمرة الخثعمية بعد أن فقدت ابنيها ، فأخذت في سرد مناقبها ، قالت :

هـَا أخـوا؛ فـالحـرب؛ مـنْ لـا أـخـالـهـ إـذـا خـافـ يـوـمـاً نـبـوـةـ فـدـعـاهـمـاـ !!  
هــا يـلـبـسـانـ الـمـجـدـ أـحـسـنـ لـبـسـةـ شـحـيـحـانـ ماـ اـسـطـاعـاـ عـلـيـهـ كـلاـهـمـاـ !!  
شـهـابـانـ مـاـ أـوـقـدـاـ ثـمـ أـخـداـ وـكـانـ سـنـيـ للـمـدـلـجـيـنـ سـنـاهـمـاـ !!  
إـذـا نـزـلـاـ الـأـرـضـ الـمـخـوفـ بـهـ الرـدـيـ يـخـفـضـ مـنـ جـاـشـيهـمـاـ مـنـصـلـاهـمـاـ !!  
..... الخ ..

والمنصل : النصل تعنى السيف ، والأم الثاكل تفخر بشجاعة ولديها في وجه المحتوف ، وتنتحدث عن المجد الذى حققاها فى حياتها ، وعن فضائل البذل والإيثار والاستعفاف الذى توفرت لها .

وفقدان أم لولديها معا خطب فادح ، لكن العجيب أنها تخىء فى أبنيها الشرف والكرم ، ويعطىها ذاك على حزنا .. ترى هل المرأة العربية اليوم على هذا المستوى في الوعي والسلوك والكفاح ؟

ولقد كانت قبل الاستعمار الحديث أمية لا تقرأ ولا تكتب ، وفرضت عليها هذه الأمية باسم الإسلام المفترى عليه ! فلما اجتاحت بلادنا الحضارة المادية المعاصرة ، فتحت أبواب المدارس للمرأة ، فلم تتعلم فيها حقائق التراث الغالى ومناقب المرأة في عصرها الأول .. كلا لقد غزا عقلها الفكر الأوروبي ، ونهجه الشارد ، فإذا نحن أمام تقاليد لا تسرّ ومناهج لا تنفع بل قد تضر !! والسبب هو القصور العلمي الذي بلغ مرتبة الجهل المركب عند بعض المسلمين المتحدين عن موقف الإسلام من المرأة . والصائحين بأصوات منكرة : المرأة لا ترى أحدا ولا يراها أحد ، تخرج من بيتها إلى الزوج أو إلى القبر !

ما أجمل قول حافظ إبراهيم :  
الأم مدرسة إذا أغدرتـها أعددت شعبا طيب الأعراق !!



## ❖ في الجاهلية القديمة !! ❖

الجاهلية القديمة للعرب واليونان والرومان وغيرهم ظلت المرأة ظلماً مبيناً حين استقبلت الأنثى بتجهم وحين اجتاحت حقوقها بلا اكتراث ، وقد جاء أفراد شواذ في الأمة العربية إلى وأد الطفولة عندما تولد ! وهو تصرف وحشٌ مستنكر فاحش !

وما نشك في أنه عمل فرديٌّ رفضه أولو الألباب وحقروا مقتفيه ، أما جمهرة العرب في الجنوب والشمال فقد صرّوا موقفهم من الطفولة كلها قول الشاعر :

لولا بنيات كزُغبِ القطا رددن من بعض إلى بعض  
لكان لي مضطربٌ واسع في الأرض ذات الطول والعرض  
 وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

ويقول شاعر آخر في ابنته أميمة :

لولا أميمة لم أجزع من العدم ولم أقاس الدجى في حندس الظلـمـ  
وزادني رغبة في العيش معرفتي ذلـيـتـيـةـ يحفوها ذـوـ الرـحـمـ !  
 أحذر الفقر يوماً أن يلـمـ بها فيهـتـكـ السـتـرـ عن لـحـمـ عـلـىـ وـضـمـ !

والواقع أن جمهرة العرب كانت شديدة الغيرة على النساء تسترخص الدماء في الدفاع عنها ، وتحنحها الفرصة لتكون كريمة عظيمة ! كان المنذراللخمي ملك الحيرة أنجب بنتاً اسمها حُرَقَةَ وابناً اسمه حُرَيقَ !

ودارت الأيام وقد المنذر ملكته ، وانتقلت الأسرة من حال إلى حال ، فقالت حُرَقَةَ في ذلك :

فـبـيـنـاـ نـسـوـسـ النـاسـ وـالـأـمـرـ أـمـرـنـاـ إـذـاـ نـحـنـ فـيـهـمـ سـوـقـةـ تـتـنـصـفـ !  
فـأـفـ لـدـنـيـاـ لـاـ يـدـوـمـ نـعـيمـهـاـ !ـ تـقـلـبـ تـارـاتـ بـنـاـ وـتـصـرـفـ !  
فـلـمـ فـتـحـ سـعـدـ بـنـ أـبـيـ وـقـاصـ أـرـضـ الـفـرـسـ ،ـ أـنـتـهـ حـرـقـةـ بـنـتـ النـعـمـانـ مـعـ عـدـدـ  
مـنـ جـوـارـيـهاـ تـطـلـبـ مـنـهـ الـعـونـ ،ـ فـنـظـرـ إـلـيـهـنـ وـسـأـلـ :ـ أـيـتـكـ حـرـقـةـ ؟ـ  
قـلـنـ :ـ هـذـهـ وـأـشـرـنـ إـلـيـهـاـ !

قال لها : أنت حرقه ؟

قالت : نعم فما تكرارك الاستفهام ؟ إن الدنيا دار زوال ، وإنها لا تدوم على حال . إننا كنا ملوك هذا المصر من قبلك ، يحيى إلينا خراجه ، ويطيعنا أهله زمان دولتنا . فلما أديب الأمر وانقضى صالح بنا صائح الدهر ، فتصدع عصاناً وشتت شملنا ، وكذلك الدهر يا سعد ! إنه ليس من قوم بسرور وجدة إلا والدهر معقبهم حسرة ، وكررت بيتها السابعين .

فأكرمتها سعد وأحسن جائزتها ، فلما أرادت فراقه قالت له : لا أنصرف عنك حتى أحبيك بتحية ملوكنا : لاجعل الله لك إلى لئيم حاجة ، ولازال لكريم عندك حاجة ! ولا نزع من عبد صالح نعمة إلا جعلك سبباً لرذها عليه ! فلما خرجت من عنده تلقاها نساء البلد ، فقلن لها : ما صنع بك الأمير ؟

قالت : حاط لي ذمتي ، وأكرم وجهي ! إنما يكرم الكريمه الكريمه . . أنظر عقل هذه الأميرة السابقة وأدبها وحكمتها وكيف حاورت سعد بن أبي

وقاص القائد الفاتح المتصر ، فنالت تقديره وإكرامه . . وددت لو أن المثقفات العربيات كنّ على هذا المستوى ، فنلن إعجاب واحد من العشرة المبشرین بالجنة .

إن المرأة تعظم بعملها الواسع وبيانها الحكيم وسيرتها الماجدة .

## الجاهلية العربية .. أشرف !!

استكثر البعض أن أقول : إن الجاهلية العربية الأولى كانت أشرف من جاهليات اليونان والرومان ، لاسيما في الوضع الاجتماعي للمرأة ! ويبدو أن هذا الاستكثار يعود إلى سوء ظتنا بأنفسنا وحاضرنا وماضينا بعد الهزائم الخضاريه المهينة التي لحقت بنا في العصور الأخيرة وصدق المثل السائر : إن الدنيا إذا أقبلت على أحد أعارته محاسن غيره ، وإذا أديبت عنه سلبيته محاسن نفسه ! صحيح أن الإشراك بالله كان قاسماً مشتركاً بين هذه الجاهليات كلها ، «فهبل» الإله الكاذب عند العرب هو «أبولو» الإله الكاذب عند اليونان ! وليس أحد الفريقين أولى بالتسفيه من الآخر !

أما النظرة إلى المرأة ، والشرف بتصونها والإستقبال في حياتها فخلق عربي لا يكاد الرومان أو اليونان القدامى يعرفون شيئاً عنه !! وتدبر قول عمرو بن كلثوم في معلقته :

على آثارنا بيسن حسان نحاذن أن تقسم أو تهونا  
إذا لم نحمهن فلا بقينا لشيء بعدهن ولا حيينا !!  
أين هذا من قول الشاعر اليونانى « سيموندس » الأمورجى « جعل الله عند  
الخلق طبائع النساء مختلفة ، فجاءت إحداهن كأنما أخرجها الله من خنزير ،  
وآخرى كأنما أخرجها الله من ثعلبة ماكرة ، وثالثة كأنها الكلبة حركة ونشاطاً ،  
فهى تجوس أركان المكان فاحصة متطلعة ، فإن لم تجد شيئاً أطلقت لسانها  
بالسوء » !!

قد تقول هذا شاعر أحق لا يؤخذ من كلامه حكم عام ! ونقول : لنترك  
أقوال هذا الشاعر وأمثاله وهم كثير فإذا نقول في إفلاطون الفيلسوف الأشهر ،  
وفي مديته الفاضلة ؟

لقد جعل النساء آخر طبقات المجتمع وتركهن كلاً مباحاً على الشيوع بين  
طبقة الحكام والفرسان !!

فإن تكن هذه معالم المدينة الفاضلة فما تكون معالم المدينة النازلة ؟  
أما الرومان فإن مكانة الأنثى لديهم منحطه بطبيعتها ، وليس لها الحقوق  
المقررة للرجال ، ولما كانت القوانين الأوروبية تمت بحسب وثيق إلى الرومان  
الأوائل ، فإن القانون الأنجلوزي حتى القرن التاسع عشر كان يبيع للرجل أن  
يبيع زوجته ! ولم يتدخل القانون إلا في تقدير السعر الذي يمكن أن تباع به ..

والقانون الفرنسي يجعل تصرفات الزوجة المالية تابعة لمشيئة الزوج !  
إن الإسلام وحده هو الذي صان شخصية المرأة ورد كل عدوان عليها وفق  
فاعدته : « لا أضيع عمل منكم من ذكر أو أنثى بغضكم من بعض » .

والذى يحزن في نفسي أن جمهوراً من المسلمين الجهلة في بلادنا تبني مفاهيم  
الجاهلية اليونانية والرومانية وغيرها وقرر أن يحيى في نطاقها ، وزاد إلى هذه  
السفاهة أن قرر الدعوة إليها بحسبانها مفاهيم إسلامية !

كيف نحمي الإسلام من أصحابه الجهلة ؟ فهم أضرى عليه من أعدائه  
السافرين !!

## في عصور الانحطاط

في دراستي للمجتمع العربي قبيل البعثة الشريفة وفي مطلع الدعوة الإسلامية وجدت وضع المرأة أوضاعاً وأرسط من وضعها أيام انحلال الأمة في عصور الهزيمة والاضمحلال الأخيرة.

ولنترك مأساة وأد الأنثى في بعض القبائل أو في مسالك الجاهلين الشاذين ، ولنتظر إلى الوعى العام للمرأة ، ونضج شخصيتها ، ومشاركتها في شؤون الحرب والسلم ، وقدرتها على بلوغ الصفوف الأولى في مواجهة الأحداث التاريخية الكبرى ، إننا نرى ما يستحق التسجيل !

لقد شاركت المرأة في بيعة العقبة الكبرى ، وشاركت في بيعة الرضوان تحت الشجرة ! ومن المؤكد أنها كانت ستمتنع من مثل هذه المباعثات في تاريخ المسلمين الأخير ، وسيقال لها : امكثي في بيتك !

وروى أحد عن أنس بن مالك أن أبا طلحة - قبل أن يسلم - خطب أم سليم وهي مسامحة - فقالت له المرأة الراشدة : يا أبا طلحة ! ألسنت تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض ؟  
قال : بلى !

قالت : أفلاتستحي تعبد شجراً ؟ إن أسلمت فإن لا أريد منك صداقاً غير الإسلام !

قال لها : دعني حتى أنظر في أمري ..  
فذهب ثم جاء فقال :أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فقالت لابنها أنس - راوي الحديث - يا أنس زوج أبا طلحة !! فزوجه من أمه !  
أى مجتمع هذا ؟ إننى بقدر ما أعجب من ذكاء المرأة وإخلاصها لدينها أعجب لسلامة الفطرة وانتفاء الريبة وسهولة الحلال وسرعة إقراره .

وروت أم عطية أنه حين قدم رسول الله المدينة جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب ، فقام على الباب فسلم عليهن ! فرددن السلام ، فقال : أنا رسول رسول الله إليكن .

فقلنا : مرحبا برسول الله ، وبررسول رسول الله !

فقال عمر : تباعن على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ، ولا تزنين ،  
ولا تقتلن أولادك ، ولا تأتين ببهتان تفترنه بين أيديك وآرجلك ولا تعصين  
في معروف ؟

قلن : نعم !

فمَدَّ عمر يده من خارج الباب ومددن أيديهين من داخل ، ثم قال : اللهم  
أشهد !

ولم يجعل عمر البيعة مصافحة باليد ، وهذه هي السنة ، تنزيهاً لجوء التدين من  
الشبهات التي عرفت في أديان أخرى .

وللkehان في هذا المجال دسائس محظورة ، من الخير تحصين الإسلام منها ،  
فلا نريد أن يكون بيننا أشباه راسبوتين .

وأنا إذ أسوق الخبر الأخير أذكر أن أحد العلماء المسؤولين عَتَبَ علىَّ أن حين  
أدخل للتدريس بين الطالبات ألقى عليهن السلام !

قلت : وما الحرج في أن يسلم أستاذ على تلميذاته ؟

قال : هذا لا يجوز !

قلت له : إن البخاري روى جواز هذا ووقوعه !

فقال : لكن العلماء لم يأخذوا بروايته .

قلت : أى علماء : إن الجهال هم الذين يقولون في الإسلام بغير علم ،  
ويرجحون تقاليد آبائهم على تعاليم الإسلام .

## لتعرف الموقف الصحيح

في عصور متطاولة كان نصيب المرأة قليلاً من الرحمة العامة الغامرة التي بعث  
بها صاحب الرسالة الخاتمة ! حاشا عصر البعثة الشريفة والخلافة الراشدة فإن  
المرأة شهدت أيام ذهبية .

وتأمل موقف النبيُّ الكريم من جليلة بنت أوس عندما جاءته تشكو بقاءها في  
بيت الزوجية لا شيء إلا لأنها تكره هذا الزوج وتعاف عشرته !  
إن النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - قال لها : لقد أعطاك زوجك حديقته  
مهراً ، فهل تردين عليه حديقته ؟

قالت : نعم !  
فأمر الرجل فطلقتها !

إن الأسرة لا تقوم على امرأة تبغض الرجل وتشتهى مفارقه ومبين هنا قال تعالى : « فإن خفتم ألا يقيها حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتنت به » ..  
وهل هذا الخلع طلاق أم فسخ للعقد ؟  
بحث لا يتعرض له هنا وإنما يتعرض لعوج فقهى أو قانون عاصرته فى مصر ، فقد كان القضاة الشرعى يحكم بأن يقود رجال الشرطة المرأة الكارهة بالقوة إلى بيت الطاعة لتحتضن من تبغض !!  
وكان رد الفعل لهذا المسلك أن وضع باسم الشريعة قانون آخر يخرج الرجل من البيت إذا أوقع الطلاق !

لم هذا الاضطراب في فهم الدين وتطبيقه ؟ وأين قوله تعالى : « فامساك بمعرف أو تسريح بإحسان » ؟  
إن للمسلمين غرائب في فهم شريعة الخلع وشريعة الطلاق لا تقوم على فقه واسع واسع الأفق !!

وأمر آخر نذكره آسفين ! ذهبت نسوة إلى أحد المساجد للصلوة ، وأخذن في مؤخرة الصنوف مكاناً قصياً ، فجاءهن إمام المسجد غاضباً يقول : إن المساجد بنيت للرجال وحدهم قال تعالى : « في بيوت الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والأصال رجل » .

وقابلنى هؤلاء النساء كسيرات البال فقلت لهن : هذا رجل جاهل فإن الله يقول : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فهل الصدق في العهد والوفاء بالوعد والثبات على الدين إلى آخر رمق وقف على الرجال وحدهم ؟ فأين قوله تعالى : « فاستجيب لهم ربهم ألم لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ببعضكم من بعض » ؟  
ولكن منطق الجهل نصب سرادقه على جاهير غفيرة من الناس ورأوا أن ذهاب المرأة إلى المسجد بدعة منكرة ، وأن تلقينها أنواع الثقافات تقليد أجنبى ، وأن وعيها بالشئون العامة تطفىء مرفوض !

وامرأة مغلقة على هذا النحو كيف تكون راعية بيت ؟ وربة أسرة ؟ ومنشأة  
أجيال محترمة ؟ إن تقهقر الأمة الإسلامية في الأعصار الأخيرة يعود إلى العجز  
الثاني في فهم موقف الإسلام الصحيح من المرأة .  
وهذا العجز من وراء انتصار المدنية الحديثة وانتشار عَجَرها وِبُجَرها في آفاق  
عربيضة ، والعلاج يقدمه فقهاء أذكياء منصفون ، لا متفيهقون متعالون .



## زوجات الرسول ﷺ

إنطلقت هذه الشائعة بين الأوربيين حتى كادت تكون بينهم يقيناً ! قالوا : كان لـ محمد تسع نسوة يتقلب في أحضانهن ويشبع شبابه المنروم ، لا يسام من واحدة حتى يتجدد هواه مع أخرى !

وقالوا : إن ساغ ذلك لواحد من الناس فما يسوغ من داع إلى الروحانية يصل الناس بالسماء ، ومحظتهم عن الله والدار الآخرة !

إن هذا العشق المشبوب للمرأة له دلالة واسعة ، فالرجل رجل دنيا وليس رجل دين ، وما نصدق مزاعمكم معاشر المسلمين عن تجرده وتقواه !!

قلت : إذا كان ما قلتموه صحيحاً فما استنتجتموه حق ! لكن هذا الذي ذكرتم لون من تحريف الكلم عن مواضعه يجعله أدنى إلى الكذب ..

إن تاريخ محمد من السنة العدو الصديق يشهد بغير ما ذكرتم ، فقد تزوج في الخامسة والعشرين من عمره بأمرأة في الأربعين من عمرها ، وظل معها وحدها قريباً من ثمان وعشرين سنة حتى ماتت فأين هذه المتع التي تصفون ؟

عندما كان في الأربعين من عمره كانت شيخة في الخامسة والخمسين ، وعندما كان في الثالثة والخمسين كانت تقترب من السبعين .. فأين الحسنات اللاتي يتنقل بين صدورهن كما تزعمون ؟ وهو كما يقرر العدو قبل الصديق لا يعرف إلا الوفاء للسيدة العجوز التي قضى معها شبابه كلها ..

ثم ماتت زوجته خديجة في عام أطلق عليه عام الحزن . فاستقدم إلى داره امرأة تقاربها في السن هي التي هاجرت معه إلى المدينة .

وصحيح أنه في السنوات العشر الأخيرة من حياته اجتمعت لديه نسوة آخريات !

من هن ؟ مجموعة من الأرامل المنكسرات أحاطت بهن ظروف صعبة ، لم يشتهرن بالجمال ولا كان لهن من السن المبكرة ما يحدد الحياة ، اللهم إلا بكرها واحدة بنت صديقه أبي بكر تزوجها توثيقاً لعلاقتها . وتتزوج بعدها حفصة بنت صديقه عمر ، ولم تعرف بجمال ، بل بدا أن البناء بها بعد موتها زوجها كان جبراً خاطئاً ودمعاً مودة وجهاً !!

وتزوج أم حبيبة المهاجرة إلى الحبشة ، إنه لم يرها هناك بيد أنه يعرف إسلامها برغم أنف أبيها زعيم المشركين يوم إذ ، وبقاءها على الإسلام برغم أنف زوجها الصائم ، فهل يتركها في وحشتها وعزلتها ؟ لقد أرسل يخطبها ويعزّ جانبها . وكلما أحاطت ظروف سيئة بأمرأة ذات مكانة ، ضمّها إليه ، وما كان للشهوة موضع يلحظ ، وأدركت النسوة القادمات هذه الحقيقة ، وعرفن أن هذا الوضع فوق طاقة الإنسان العادى ، فعرض بعضهن في صراحة أن يبقى متسبباً للبيت النبوى مكتفياً بهذا الشرف ، ومتنازلاً عن حظ المرأة من الرجل ، فإن الرسول آواهن مستجيبة لنداء إنسان لا لبواعث الغريزة ! أين مكان الغريزة والخالة على ما شرحنا ؟

وفي استبقاء أولئك الزوجات على ما ارتضين نزلت آيات كريمة . منها قوله تعالى : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضًا فلا جناح عليهما أن يصلحاً بينهما صلحاً والصلح خير » ومنها قوله : « ترجى من تشاء منهن وتزورى إليك من تشاء . ومن ابتغت من عزلت فلا جناح عليك . ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضى بما آتتهن كلهن » .

إنه لا يستطيع إلا ذلك ، فإن دوافع الشهوة كانت ميّة وراء هذا التعدد الذي فرضته أزمات أحاطت ببعض المؤمنات العريقات .

ولنفرض جدلاً أن الإعجاب بالجمال هو الذي أوحى بتزوج بعضهن ، فكانت أيام الحصار المضروب على الدعوة ، والأزمات الخانقة التي يتعرض لها المسلمون عامة ، وأهل البيت النبوى خاصة ، تيسّر للمؤمنين ونبيهم طعم الراحة ؟

ما أشقي ربات البيت عندما يكون رب البيت أباً لأمة كبيرة وملاذاً للمستضعفين واللاجئين وناشدي العون في الصباح والمساء ، إنه يؤثر غيره بما لديه وبيت هو واللاتق معه على الطوى ..

## هذا .. أو الفراق !!

---

روى البخارى ومسلم عن عائشة قالت : ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعند مسلم قالت عائشة : لقد مات رسول الله وما شبع من خبز وزيت في  
يوم واحد مرتين ..

وعند الترمذى ، قال مسروق : دخلت على عائشة فدعت لى بطعام وقالت : ما أشعى ، فأشاء أن أبكي إلا بكى ! قلت : لم ؟ قالت : أذكر الحال الذى فارق عليها رسول الله الدنيا ! والله ما أشعى من خبز ولحم مرتين في يوم !

وعند البيهقى قالت : ما أشعى رسول الله ثلاثة أيام متالية ، ولو شئنا لشيعنا ، ولكنه كان يؤثر على نفسه !

وعند الطبراني ما كان يبقى على مائدة رسول الله شيء من خبز الشعير قليل ولا كثير ! قال الحسن : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يواسى الناس بنفسه ، حتى جعل يرقم إزاره بالأدم » .

ما أكثر العفاة الطارقين ، يتلمسون المطعم والملبس !!  
وكان الناس ربما اقتحموا البيت النبوي قبل إعداد الطعام بوقت طويل ، أو  
جلسوا بعد الفراغ منه وقتاً طويلاً ، ولا ريب أن ذلك كان يشق على رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم - ويجدد منه الخرج فلم يكن بد من تنزيل الوحي الإلهي  
يضع نظاماً صارماً لهذا التسيب قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت  
النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتكم فادخلوا ،  
فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحب  
منكم والله لا يستحب من الحق ... » .

إن زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - تعبن معه طويلاً في خدمة المجتمع وتعليم الناس ومساعدة الضعفاء واستقبال الوفود .

وكان مأولاً أن يصحو النبي للصلوة ، ويصلّى بالناس في المسجد ثم يعود إلى بيته ليسأل عن شيء يفطر به فلا يجده فينوى الصيام .. وربما وجد بعض الخلّ فلا يضره ولا يشقى بل يقبل عليه راضيا قائلًا : نعم الأدم الخل !!  
هذا نهج الحياة التي يزعم الأوروبيون أنها كانت تلذذًا بالنساء واستمتاعا بالدين أحضانهن: أين هذه النساء المذعومة ؟؟

وقد اجتمع بالردد الـ مـ : هذا أو الفراق ! ثابت إلى نفوسهن مشاعر الإيمان وآثـرـنـ إنتـظـارـ المـ طـالـبـةـ بـتـغـيـرـهـ ، وكـيفـ تـطـلـعـنـ إـلـىـ حـيـاةـ أـهـدـاـ وـاهـنـاـ . فـلـمـ بـوـغـتـنـ

الآخرة ، والعيش في ظل النبوة المكافحة على استعجال الطبيات في هذه الدنيا . . .

كان مفروضاً على بيت الوحي أن يعيش كأضعف بيت في الدنيا ، وأن يتحمل المقيمات به كل ما يتحمله المهاجرون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وعاشوا من بعد على ماتيسر . . . وكافأهن الله سبحانه على هذا البذل ، بأن صرن أمهات للمؤمنين ، وهو لقب - كما رأيت - فيه من التكليف مثل ما فيه من التشريف . . . أكانت هناك ديانة أرضية أو سماوية تنهي عن تعدد الزوجات ؟ أو ترى فيه أدنى شائبة ؟

لا ، بل إن أنبياء العهد القديم ألفوا التعدد دون حدود ! والمذكور عن سليمان وحده أنه تزوج بثلاثة امرأة . وقد حكى « ويل ديورانت » في قصة الحضارة عن آنام الألحبار والرهبان ما يثير الشمئizar !

فلترث الدين إلى الفلسفة ! ولننظر إلى فلاسفة الإغريق لنرى كيف يعيش قادة الفكر القديم !

وقد كنت راغباً عن ذكر هذه الدنيا ، ولكنني رأيت الطاعنين في محمد يجمعون بين قلة الحياة وكثرة الافتراء فقلت : مابد من حل العصا . . . كتب ماجد نصر الدين في صحيفة « اللواء » الأردنية مقالاً عنوانه « لماذا ينهل المثقفون من تراث موبوء بالشذوذ ؟ » نقتطف منه هذه الجملة « إن الفلاسفة الذين يعتبرهم البعض مثله الأعلى هم لواطيون ، شاذون جنسياً ، يفخرون بشذوذهم ، ويتباهون بمضاجعة الغلمان !! وقد كرحت امرأة سقراط رجلها وعافت عشرته لتعلقه بأحد تلاميذه ، وقس على ذلك أفلاطون الذي تعرف على سقراط وهو صغير ، وسقراط مشهور بهذا الداء ومتهم بإفساد الشباب . . . ويزعم أرسطو أن نسبة الشواذ في عصره تعادل نسبة الطبيعين وقد جرت على لسانه عبارات لا نجرؤ على نقلها هنا .

وتقول مؤلفة « الجنس في التاريخ » : « إن معظم المجتمعات حرمت اللواط ، أو تجاهله إلا اليونان ، فإن البغاء المذكر كان شائعاً ، ويمكن استئجار الغلمان ! » .

والحضارة الغربية الحديثة ورثت عن اليونان والرومان مبادل وضعيفة مخزية ،  
ومع ذلك فهي تغافل بخبث عن عللها ، وتتناسى الدنس الذي تصبح فيه  
وتنسى ، وتبسط لسانها بالأذى في سيرة أمير الأنبياء ، ومعلم الأمم الطهر  
والعفاف !!

وهل تنتظر من بيئة « الإيدز » إلا هذا التدنى ؟

## تشريع خاص .. لهن !!

قال لي متعجبا : كيف تم زواج عائشة ، وهى فى الصبا الباكر بن زاد عمره  
على الخمسين ؟

فقلت له : سؤال وارد لا غرابة فيه ! ولكن دهشتك سوف تزول يقينا عندما  
تعلم أن عائشة قد تقدم لها قبل محمد أحد الخاطئين !

قال - وقد فغر فاه وحملق عينيه - كيف كان ذلك ؟

قلت : ذكر بعض المؤرخين أن جبير بن المطعم بن عدى تقدم خطبة عائشة ،  
وحده ذلك أبوه فقبلها بادئ ذي بدء ، وذهبها إلى أبي بكر راغبين في إتمام  
الزواج .. غير أنها خشيما بعد قليل أن يترك ابنتها دين آبائهما ، ويعتنق الإسلام  
متاثرا بأصهاره ، فترى في الأمر ، ويدا لها أن يرجحاه ..

وهنا جاءت خولة بنت حكيم إلى أبي بكر تذكر أن النبي - صلى الله عليه  
 وسلم - يتوجه إلى طاب عائشة ، ذهب أبو بكر إلى المطعم يسأله : أهو باق على  
 رغبته في خطبتها لابنه ؟ فاعتذر إليه ، وترك له حرية التصرف .

وعندئذ لم يبق هنالك وعد ولا عهد ، وتم زواج محمد من بنت أبي بكر !  
إن هناك فتيات ينضجن في سن مبكرة ، وقد أخبرني أحد الأطباء أن القضاء  
عرض عليه فتاة لمعرفة عمرها ، فقدر لها سن سبعة عشر عاما ، ثم تبين من  
شهادة الميلاد أنها في الثالثة عشرة .

إن عائشة يوم بيها الرسول كانت أهلا للزواج يقينا ، وما نشك في أن  
الدافع الأول لهذا الزواج كان توثيق العلاقة بين النبي الكريم وصاحب الأول ،  
وهو الدافع لتزوجه من حفصة بنت عمر بن الخطاب لما آمنت من زوجها ! ولم

تكن حفصة امرأة ذات جمال ، ولكن هذا العنصر لم يكن المانع من هذه ،  
ولا الدافع إلى تلك !

لقد كانت هناك أسباب اجتماعية وسياسية أوجت بتعزيز الروابط حينا ، وجر  
الكسور حينا ، ومد الجسور بين صاحب الدعوة وأشخاص من الأتباع والأسر التي  
ترحّم جزيرة العرب في أيام مليئة بالأزمات والمحرجات ..

ربما قال قائل : آمنا بأن تعدد الزوجات كان مألوفا في الديانات الأرضية  
والسماوية حتى جاء الإسلام فوضع عليه القيود ، فلماذا لم يلتزم نبي الإسلام  
بالعدد الذي وقف بال المسلمين عنده ؟ ألم يجيء في الأحاديث الصحاح أنه أمر رجلا  
لديه عشر زوجات أن يمسك أربعا ويُسرّح الباقيات ؟

قلت : سؤال صحيح ! فلتتدارس الإجابة عليه ! أن النسوة الست التي طلقهن  
صاحب العشرة سيترکن بيته ويجدن بيوتا أخرى ، فلهم حق الزواج من أحبابهن ،  
ولا حرج على أحد في التزوج منهن !

لكن ماذا عسى يفعل زوجات الرسول إذا كان الوحي قد نزل من قبل يقول  
للMuslimين : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ، ولا أن تنكحوا أزواجاً من  
بعده أبداً إن ذلك كان عند الله عظيماً » .

لقد صرنا أمهاهات للمؤمنين وفق النص القائل : « النبي أولى بالمؤمنين من  
أنفسهم وأزواجاً أمهاهاتهم ... » وما كان المؤمن أن يتزوج أمه ! فهل يسوع بعد هذا  
تسريحهن ليعيشن في وحدة وإياس ؟

ولنفرض زوراً أن تسريحهن مطلوب فهل هذا هو الجزاء الإلهي لنسوة تحملن  
مع صاحب الرسالة شفط العيش ومشقات الحصار المضروب على أمته ؟  
لقد اخترن البقاء معه عندما خيرهن ، وأيّين العودة إلى أهلهن في بيوت أملاً  
بالسمون والعسل ، وحملهن الإيمان على البقاء في جو التهجد والصيام والكفاح مع  
النبي الذي انتصب مقاومة الضلال في العالمين ، فهل يكون الجزاء بعد هذا  
الوفاء الخلاص منهن ؟

إن الله أذن ببقائهن ، والاقتصر عليهم ، وصدر لهن تشريع خاص « لا يحل  
لكل النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنها ،  
إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا » .

## حلف الأطلسي .. يحميهم !!

وإن أسائل الهاجئين على محمد من خلال هذه الثغرة المزعومة في حياته : أهي  
محاكمة خاصة لهذا الإنسان الشريف ؟ ومحاولة متعمدة للنيل منه وحده ؟  
أعرف أن مساءات كثيرة وجهت لأنبياء من قبله ، وتعرض الرجال الصالحون  
لأقبح التهم !

ألم يتهم النبي الطاهر لوط بأنه زنى بابنته كلتيهما بعد ما أفقدته الخمر وعيه  
وأنجب منها ؟

ألم يتهم النبي يعقوب بأنه سرق منصب النبوة من أخيه الأكبر عيسى بعد  
عملية احتيال ماكرة على أخيه الذي كفَّ بصره ؟  
ألم يتهم سليمان بأنه انطلق في شوارع القدس يبحث عن الحبيب المجهول  
ليأخذه إلى فراشه ، مع أن عنده ألف امرأة ؟

إن هذا البحث الماجن استغرق عدة صفحات مليئة بجمل طائشة تحت عنوان  
الإنساد الذي لسليمان ! من شاء قرأه في العهد القديم ..  
ومع جنون الاتهام الذي سيطر على كتابي هذه الصحف ، فإن المتهمين بقوا  
أنبياء مكرمين !

أما سليمان فقد جعله اليهود ملكا ، ولكن أى ملك ؟ إنه بآن الهيكل الذي  
يجب أن يعاد بناؤه ليكون مسكنًا للرب يتجلّ فيه بهاؤه ويحكم العالم كله من سُدُّته  
بوساطة شعبه المختار من بنى إسرائيل !!

أما محمد الصوام القوام الكادح لله طوال حياته ، والذي جمع آخر عمره بضع  
نسمة من الأرامل والمصابات عشن معه على مستويات الضرورة ، وتحمّضن الله  
والدار الآخرة فهو وحده الذي يستباح وتوارث الضغائن عليه ، ويتجمع حلف  
الأطلسي لحماية شامي !!

ومن أولئك الشاميون الغاضبون ؟ أهم رهبان وقدتهم العبادة وكتبوا حبَّ  
النساء في دمائهم فهم يشتئون ويميتون شهواتهم ابتغاء رضوان الله كما يزعمون ؟  
كلا ، إنهم أفراد وشعوب شربوا كثوس الشهوات حتى الشالة ، ولم يتركوا بابا  
للذلة إلا افتحوه دون تهيب أو حياء !

وحضارة أوروبا تميزت بأنها يسرت للدهماء من المتع ما كان حكراً على الملوك والرؤساء فأضحت الصعلوك قادراً على الاتصال بسبعين امرأة كلها ذاق جديداً طلب مزيداً ما تمحجه عن دنایاه تقاليد ولا قوانين ، وفي هذا الوسط من الدنس يذمون مهداً وينالون منه !

أى منطق هذا المنطق الجائز الظلوم ؟

إن الإسلام لم يأمر بتعدد الزوجات ، فإن الزواج ليس نشاداناً للذلة فقط وإنما هو قدرة على التربية ورعاية الأسرة ، فمن عجز عن ذلك كلفه الإسلام بالصوم ، ونحن نوجه للأوربيين سؤالاً لا مهرّب منه : هل التعدد الذي أذن الإسلام به أفضل أم الزنى ؟

إنني أسئل كل منصف صادق : هل المجتمعات الأوروبية تكتفى بالواحدة أم أن التعدد قانون غير مكتوب يخضع له الكثيرون ؟

وثم سؤال آخر : هل الضرورات هي التي تدفع إلى التعدد الحرام أم أن الإثارات المتعتمدة في الاختلاط المطلق وفي تقاليد الرقص التي لا آخر لها من وراء هذا الفيضان من العلاقات الآثمة ؟؟

وأختم هذا القول بسؤال حاسم : هل وعن التاريخ الجاد سيرة رجل أعفَ خلقاً وأشرف ثواباً وأغير على الحرمات وأبعد عن الشبهات من محمد ؟ هل حكى عن أحفال في بيته رُصِّت فيها الموائد وعليها زجاجات الخمور ، وأطابيب الأطعمة ، وأنواع المشهيات والمهواضيم ؟

لقد كانت عيadan الحصير تنطبع على جلده وهو نائم ، أو جالس ، فإذا ظفر مع أصحابه بالخبز واللحم عند ذلك من النعيم الذي يسأل الناس عنه يوم القيمة !!

فهل هذا النبيَّ الفارس المخشن الجندي يوصف بأنه من أصحاب الشهوات ؟

ومن الذي يصفه ؟ الذين ابتلاهم الله « بالإيدز » بعد ما ابتلاهم بالزهرى وغيره من أمراض الإسفاف والإسراف والسقوط !!

إمراتان.. فادرتان !!

---

كانت أم المؤمنين « خديجة » سيدة ثاقبة البصيرة ، خبيرة بأغوار الرجال ،

تعرف طبائعهم فلا يخفى عليها معدن نفيس . ولا يخدعها طلاء مزور ! ولعل اشتغالها بالتجارة كون لديها هذه الملكة . فالتجار من أعرف الناس بطوايا النفوس !

وفي ميدان عملها التجارى عرفت خديجة حمدا - عليه الصلاة والسلام - وخطبته لنفسها ، ولم يكن محمد مجھولا لدى جمھور العرب ، كانت خلاقته الزاكية موضع إجماع وحب ، وكثيرا ما تكون زكاة الباطن كصباحة الوجه أساسا لتقدير عام أو عنوانا لا يختلف فيه اثنان ..

لكن خديجة بعد زواجهما ازدادت خبرة برجلها وأدركت أى أفق من الكمال قد بلغه ! فلما أخبرها بما عرض له في غار حراء قاست المستقبل على الماضي ، وأقسمت أن مثله لا يضيع ، وأنه يستحيل أن يخذل الله رجلا قد أفاء عليه خلال النبل والشرف كلها ، قالت : « والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصدق الحديث وتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق وتؤدى الأمانة » .

إن الله لا يخزى في الدنيا ولا في الأخرى صاحب هذه السيرة ! ذاك إنسان مُحسنٌ من عدوان الشيطان « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا » ..

وخدية من سروات قريش ، أى من قمة المجتمع العربي ، وهى أول من آمن من النساء ، لكن الإسلام دين عام يتنظم البشر أكابرهم وأصغرهم ، فإذا كانت أفتئدة بعض الأغنياء تهوى إليه ، فإن جاهير من الفقراء تدخل فيه وتبشر به ، السادة والعبيد جميعا لهم مكان واحد فيه ، أبو بكر المرموق يعتقه ، وبلال الملوك يعتقه ، ثم يجيء عمر العظيم فيقول : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا !! لا طبقات في هذا الدين ، ولكن أخوة عامة ، وإذا كانت خديجة أول من آمن ، وهى من البيوتات الرفيعة ، فإن أول من استشهد « سمية » أم عمار وهى من البيوتات المستضعفة التي لا يؤبه لها .

واختبار الله لعباده فنون ، إنه يختبر بالشهرة والحمول وبالثروة وعدم وبالصحة والبقاء ، والمهم هو الآخرة ، عن عثمان بن عفان - وهو من قمة قريش - قال بينما أنا أمشي مع رسول الله بالبطحاء إذ بعمار وأبيه وأمه يعذبون في الشمس ليرتدوا عن الإسلام ! قال أبو عمار : يا رسول الله ، الدهر هكذا ؟

فقال : « صبراً يا آل ياسر ، اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت ! ». وجاء قادة الجاهلية لُيسروا بِمَنْظَرِ التَّعذيب ، وكان بينهم أبو جهل الذي غافله تجُلُّد المرأة ، وصبرها على ما ينزل بها ، فطعنها بحربته في أسفل بطئها طعنة مزقت رحمها وأودت بحياتها فكانت أول شهيدة في الإسلام .

وطال المدى على توقع العقاب الإلهي حتى كانت غزوة بدر ، وخرج الفرعون الصغير ليقاتل المؤمنين وهناك وكل القدر به اثنين من فتيان الإسلام ظلا يناوشانه بسيفيهما حتى صرع ! « إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً ، فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذناه وبيلا » . كم أشعر بالإعجاب لأول امرأة أسلمت ، ولأول امرأة استشهدت !

### الصديقة.. الأديبة

كانت أم المؤمنين عائشة ذوّاقة للأدب العربي ، شعره ونثره ، سريعة الاستشهاد به فيما يمر بها من أحداث ، ولم أر هذه القدرة لغيرها من النساء : فعندما قتل على بن أبي طالب قالت :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر ! ولما احتضر أبوها أبو بكر قالت :

لَعْمَرُكَ مَا يَغْنِي الرِّثَاءُ عَنِ الْفَتِيْهِ إِذَا حَشَرَجْتُ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدَرُ فَقَالَ الصَّدِيقُ لَافْتَأْنِي نَظَرَهَا إِلَى مَا هُوَ أَفْضَلُ ، لَيْسَ هَكُذَا تَقُولِينِ ! قَوْلِي : « وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كنت منه تحيد » .

وعندما قتل أخوها محمد بن أبي بكر بمصر قالت :

وَكَنَا كَنْدِمَانْ جَزِيمَةَ حَقْبَةَ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قَبِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا ! فَلَمَا تَفَرَّقَا كَانَ وَمَالِكَا ! لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتُ لَيْلَةً مَعَا ! قال الرواية : وأرسلت عائشة أخاها عبد الرحمن إلى مصر فاحضر أولاد أخيها الباتامي ، واحتضنتهم حتى إذا كبروا قالت لعبد الرحمن : لقد ضممتهم إلى لصغر سنهم وخشيته أن تتألف نساوته منهم ، فكنت أنا أطففهم ، وأصبر عليهم ، فالآن خذهم إليك وكن لهم كما كان حَجَيْهُ بْنُ الْمَضْرُبُ لأولاد أخيه مَعْدَانْ !

ولحجية هذا وصمة طريقة بعد أن مات أخوه معدان ! فقد رأى أولاده اليتامى تخرج إليهم خادته ببقياها لbin في قعب مكسور ، هو كل ما جادت به زوجته عليهم ! فملكه الوجوم والغضب ! ثم أمر أن تخلب ماشيته في بيت أخيه قبل أن تخلب بيته ! وأن يأكل يتاماه من الأصول لا من الفضول ، وغضبت لذلك إمراته فقال حجية :

تلوم على مال شفاف مكانه إليك فلومي مابدا لك واغضبني !  
رأيت اليتامى لا تسد فقوتهم هدايا لهم في كل قعب مشعّب !  
ذكرت بهم عظام من لوأيته حربا لأناساً لدى كل مركب !  
أخى والذى إن أدعه للمرة يحبني وإن أغضب إلى السيف يغضب !

إن الصديقة الأديبة تذكر أخاها بخلال رجل من شعراء الجاهلية ! قال عروة بن الزبير : ما رأيت أعلم بطب ولا بفقه ولا بشعر من عائشة .

وفي طبقات ابن سعد كانت عائشة أعلم الناس ، يسألاها الأكابر من أصحاب رسول الله .

وعن أبي سلمة : ما رأيت أعلم بسنن رسول الله - صل الله عليه وسلم - من عائشة ، ولا أحداً أفقه في رأي إن احتاج إلى رأيه ، ولا أعلم بأية فيها نزلت ولا فريضة ، من عائشة رضي الله عنها .

وكانت - رضي الله عنها - تفتى في عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت .. وعلم عائشة يتجاوز الفتوى إلى التصحح ، ورد ما يشيع من خطأ ، وكان رسوخها في فهم القرآن ، وفقها في السنة النبوية ، واطلاعها الواسع على أدب العرب يجعلها المرجع الثقة أبداً .

ألا تكون هذه السيرة الناصرة أسوة للنساء المسلمات في شتى الأعصار والأمصار ؟ أم نقول للنساء : اقعدن في البيوت لا شعر ولا نثر ، ولادين ولا دنيا ! ؟

## ❖ في العلم .. والأدب ❖

مع اضمحلال الفكر الديني في الأعصار المتأخرة هبط المستوى الإنساني للمرأة  
هبوطاً مخجلاً في ميدان العلم والأدب ، وعادت الجاهلية الأولى تنشر مآثرها  
ونزعاتها !

بل إننا نقرأ كلمات للنساء الأولى يستحيل أن تكون لها نظائر على لسان النساء  
في أعصار التخلف الأخيرة ، تدبر ما تقوله « أم الصريح الكندية » ترثى رجالاً  
من قومها ثبتوها في الميدان حتى تفانوا جميعاً :

أبوا أن يفرّوا والقنا في نحورهم ! وأن يرتفعوا من خشية الموت سُلْماً  
ولو أنهم فرّوا لكانوا أعزّة ! ولكن رأوا صبراً على الموت أكراها !

والإعتذار عن فرارهم - لو فرّوا - إنما وقع لأنهم نفر قليل واجه جيشاً كثيفاً ،  
وكان يمكن أن يقولوا ما قاله الحارث بن هشام لما ترك المعركة لأنّه التقى - وهو  
فرد - بجيش كبير واعتذر قائلاً :

وعلمتُ أني إن أقاتل واحداً أقتل ولا يضرّ عدو مشهدى  
فَصَدَّتُ عنهم والأحبة دونهم طمعاً لهم بعذاب يوم مُرْصد!

لكن هذه الفلسفة السياسية لم تعجب المرأة الشجاعة ، ورأيت أن الصبر على  
الموت أكرم !! ومثل هذه المرأة يلد أولى الفداء والنجدات والرجال الذين يحملون  
الإيمان بأرواحهم دون تردد .

وهذه امرأة أخرى ، هي أم صعلوك من صعاليك العرب ذهب ابنها في  
إحدى الغارات ويقيت هي تنتظره فلم يعد ، ولو كانت هذه الأعرابية أمّاً لأحد  
« اللوردات » الإنجليز لترجمت كلماتها على أنها من روائع الأدب !  
إن ابنها ذهب كغيره من الصعاليك يطلب الغنى ويكره الفقر ، والمرأة تسمى  
الفقر هلاكا (!) وهو كذلك في دين الله وفطرة النفوس ولكن الفقر - في الدين  
الفاسد - منزلة من منازل الصالحين حين يتقربون إلى الله !

وهذه قصيدة المرأة :

من هلاك فهلك طاف يبغى نجوة  
أى شيء قتلك ليت شعرى ضلة  
أم عدو ختكلك؟ أمريض لم تعد؟  
للفتى حيث سلك والمنايا رصد  
لفتى لم يك لك أى شيء حسن  
حين تلقى أجلك! كل شيء قاتل  
غير كدُّ أملاك! طالا قد نلت في  
عن جواب شغلوك إن أمراً فادحاً  
لم تجِب من سالك! ساعزى النفس إذ  
صبرة عنك ملك! ليت قلبى ساعة  
لمنايا بذلك.. ليت نفسي قُدمت

وقالت صفيحة الباهلية ترثى أخاها ، وتدذكر أنها كانت معه فرسى رهان فى سباق الأجداد والمكرمات حتى ذهب وبقيت وحدها ..

كنا كفصنين في جرثومة سَمْقا حيناً بأحسن ما يسمى له الشجر !  
حتى إذا قيل قد طالت فروعها وطاب فياها واستنطر الثمر !  
آخر على واحدى ريب الزمان وما يبقى الزمان على شيء ولا يذر !  
كنا كأنجم ليل بينها قمر .. يجلو الدجى، فهوى من بينها القمر!

هكذا كان الرجل والمرأة ، فهل هما كذلك الآن ؟

### مثل عال .. للمسلمة المجاهدة

كانت الأسرة الإسلامية كلها تهتم بشئون دينها ويقضياته السياسية والعسكرية ! ولم يكن هذا الاهتمام التقاط أخبار أو تسمع أنباء المعارك في شتى الميادين ، بل قد يكون مشاركة شخصية من الأمهات والزوجات ..

وأمامي نموذج مثير لقصة وقعت في حرب الردة عندما اشتبك المسلمون في  
قتال فادح المغارم مع أتباع مسيلمة الكذاب !  
ومسيلمة هذا شخص عجيب فإن جنون العظمة قد يدفع أصحابه إلى  
ما يشكل طباعهم من انحراف ، « فنيرون » قد يحرق روما و « هولاكو » قد يدمر  
بغداد ، وقد يستطيع مسيلمة أن يكون قاطع طريق فيسبع تطلعه إلى الظهور !  
أما أن يدعى النبوة فهذا مالا مساغ له ..

لكن سعار العظمة جعله يدعى إليها ويرسل إلى النبي - صل الله عليه وسلم - أنه  
قسم الأرض نصفين بينها ! وقد تجاوز النبي - صل الله عليه وسلم - هذا  
الهزل ، وأرسل حبيب بن زيد يتحدث معه ويستطلع خبره ويحاول رده إلى  
صوابه .

وكان حبيب شاباً مؤمناً جريئاً ، فلما رأه مسيلمة قرر قتله ! فسألته أولاً :  
أشهد أن محمداً رسول الله ؟

قال : نعم .

قال : أشهد أن رسول الله ؟

فتضامن حبيب ، وأشار بوجهه لا أسمع .

وكرر مسيلمة دعواه ، وكرر حبيب رفضه الصامت المستهزء المستكبر !  
وهنا بدأ مسيلمة يقطع الشاب المؤمن عضواً عضواً ، كلما سأله فرفض الإيمان  
به قطع جزءاً من جسمه ، فلما استمر تقطيع الأشلاء ، ونزف الدماء فاضت  
روح الشاب الجلد وهو يختقر الباطل ويعز الحق !

وعلمت أمه « نسيبة بنت كعب الأنصارية » بمصرع ولدها على هذا التحول  
فنذررت ألا تغسل حتى تثار ولدها وحتى يقتل مسيلمة ، وخرجت المرأة مع ابنها  
عبد الله واشتركت في معركة اليمامة وقاتلت جيش مسيلمة أشد قتال ، وأصابتها  
إثنا عشر جرحاً وهي مقدمة شجاعة ، وقطعت يدها خلال المعركة الشرسة ،  
لكن خيل الله قاتل مسيلمة ومحى أذنيه بالدم الغزير ، وانتصر الحق ، وزاح  
الإفك ، وعادت نسيبة بعد ما وفت بنذرها !

أكان أحد يستطيع ردّها عندما خرجت ؟

كلا .. لقد شهدت من قبل قتال أحد ، وشهدت بيعة الرضوان في عمرة  
الحدبية ، وشهدت فتح مكة ويوم حنين ، ومن قبل ذلك شاركت في بيعة

العقبة ، إنها مثل عال للمسلمة المجاهدة التي شرفت أسرتها ودينها .. وأعلم أن بعض المتفقهين في عصرنا لو صادف المرأة الصالحة وهي خارجة من بيتهما لتناقذل الكذاب وأتباعه لقال لها : اقعدى في بيتك ، لا يجوز لك هذا ! إن هؤلاء المتفقهين تعرفهم عصور الاصنفحة العقل ، ولا يمكن أن يظهروا في مجتمع ناضج أو في سلف صالح .

قانون .. « الحمد » !

بيت عريق أخنت عليه الأيام فزلت مكانته في المجتمع ، وأطمعت من دونه من الناس أن يتقدم خطاباً لبناته وما كان يحروه على ذلك من قبل . وغضب رب البيت لكرامته التي جرحت ، وتساءل في أسف : إذا عرضت له أزمة عابرة تطاول عليه الصغار ، وجاءه من يريد الزواج بابنته وهو ليس لها كفاءة ؟

لذلك طرد بعنف بالغ الخطاب القادم قائلًا له : ت يريد أن تكون سيداً بأخذ سيدة من بيتنا لا ترتفع إلى مسانتها ؟ إذهب عننا فالبنات كثُرْنَ بعد أن منع الإسلام واد البنات ! أما ابنتنا ففي مكانها العالي لن تُرخصها أزمة مهما اشتدت !!

وهاك الآيات التي تفجرت فيها ثورة رب البيت الجريح !!  
 تَبَغُّى ابن كوز - والسفاهة كاسمها- ليُسْتَادَ مِنْا أَنْ شَتُّونَا لِيَالِي  
 فِيهَا أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ عَنْدِي حَزَازَةَ بَأْنَ أَبْتَ مَزْرِئَا عَلَيْكَ وَزَارِيَا  
 وَإِنَّهُ عَلَيْهِ عَضُّ الزَّمَانِ الَّذِي بَنَ - نَعْالِجُ مِنْ كَرْهِ الْمَخَازِيِّ الدَّوَاهِيَا  
 فَلَا تَطْلُبُنَا يَا ابْنَ كَوزَ فِيَانِهِ غَذَا النَّاسَ مَذْ قَامَ النَّبِيُّ الْجَوَارِيَا  
 وَإِنَّهُ الَّتِي حَدَثَنَا فِي أَنْوَفِنَا وَأَعْنَاقِنَا مِنْ إِلَبَاءِ كَمَا هِيَا  
 وَالَّذِي اسْتَوْقَنَى مِنْ هَذِهِ الْقَصْةِ أَمْرَانِ :  
 أَوْلُهُمَا : أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي أَحْرَجَهُ الْفَقْرُ تَمَاسِكَ وَتَحْمَلَ آلَامًا هَائِلَةً حَتَّى لَا يُلْمَمُ  
 بِدِينِيَّةِ أَوْ يَقْتَرِفَ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ .  
 وَالثَّانِي : أَنَّهُ أَعْزَّ ابْنَتَهُ وَجَعَلَ مَكَانَتَهَا فِي أَنْفُهُ وَعَنْقِهِ فَلَنْ تَذَلْ أَبْدَا مَا دَامَ حِيَا !

وكلا الأمرين من خلائق السادة الذين يحترمون أنفسهم وأهليهم ، ولا يعنيني غير ذلك في القصة كلها .

والمجتمع العربي قدماً وحديثاً تحكمه تقاليد صارمة بعضها لا بأس به وبعضها فيه نظر ، واهتمام العرب ببنسبهم وسمعتهم قد يخالطه غرور وكبر ، ولكن الأستاذ أحمد موسى سالم يقول : إن العرب في حياتهم الأولى كان يحكمهم قانون « الحمد » الذي جاء به اسم محمد من مشرق طفولته تأكيداً لراحل الاصطفاء له من بين محامد العرب لا من بين مساوئهم ، فكان هو المحمد بحسب قانونهم وكان كما هو الواقع وكما قال عن نفسه « خيار من خيار من خيار » . وقد شرحت النساء هذا القانون الشريف بقولها :

نَعْفُ وَنَعْرِفُ حَقَّ الْقَرَى وَتَخْذِلُ الْحَمْدَ كَنْزًا وَذُخْرًا !

وتقول أم حاتم الطائى - وكانت في سباق المكارم تجود لمن يسألها بكل ما تملك - :

لعمرى لقيتُمْ عضْنِي الجوع عَصْنَةَ فَالْبَتْ أَنْ لَا أَمْنَعَ الْدَّهْرَ جَائِعًا !  
وَمَا إِنْ تَرَوْنَ الْيَوْمَ إِلَّا طَبِيعَةَ ! فَكَيْفَ بِتَرْكِي يَا ابْنَ أَمِي الطَّبَائِعَ؟

فهذه امرأة جاعت مرة فأقسمت إلا ترى جائعاً إلا أعطته ما تملك ! وكان من حقها أن تفعل ذلك ! ولا يستطيع أحد أن يمنعها .. وكانت إحدى حكيمات النساء قبل الإسلام - وهي جمعة بنت الخنس - تصف الصدق وتجعله فوق كل الفضائل فتقول :

وَخَيْرُ خَلَالِ الْمَرْءِ صَدَقُ لِسَانِهِ ! وَلِلصَّدَقِ فَضْلٌ يَسْتَبِينُ وَيُبَرِّزُ !  
وَإِنْجَازُكَ الْمَوْعِدُ مِنْ سَبْبِ الْغَنِيِّ فَكَنْ مَوْفِيَ الْلَّوْعَدِ ، تُعْطِي وَتَنْجُزُ !

وقانون « الحمد » الذي أشار إليه الأديب الكبير جدير بالإقرار مع تعليق محدود ، فالإسلام يريد منا أن نعمل ابتغاء وجه الله وانتظار مثويته يوم اللقاء الأخير ، فإذا أخلصنا العمل له سبحانه جازانا بالذكر الحميد في الدنيا والآخرة ، ولا يجوز أن نعمل طلباً لثناء الناس ، كما لا يجوز أن نعرض سمعتنا للقليل والقال .

وفي العرب ميل للفخر والظهور والباهة وهي رذائل تشوب العمل الصالح  
وقد تطير به .

## الكل سواء .. في سباق الفضائل !

والحق أن المرأة العربية في الجاهلية الأولى بربت شمائلها الحسان في ميادين  
كثيرة أيام الحرب وأيام السلم على سواء ، ولم تتوضع أمامها العوائق التي وضعت  
أمام المسلمات في عصور الانحطاط العام للأمة الإسلامية .

وفي صدر الإسلام استطاعت امرأة من الخوارج أن تقود جيشاً يهزم الحجاج  
ويحصره في قصره ويتركه وهو مذعور ، حتى عيره أحد الشعراء على هذا الموقف  
المخزى بقوله :

اسدٌ علىٰ وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صغير الصافر !  
هلا بربت إلىٰ غزالة في الوغىٰ بل كان قلبك في جناح طائر !  
أما في العهود الإسلامية الأخيرة فإن المرأة ما كانت تدرى وراء جدران بيتها  
 شيئاً ! وعندما غلبتنا حضارة الغرب المتصرّ كان هم المرأة أن تقلّد في الثوب  
الرشيق والمنظر الأنبيق ! أما في غزو الفضاء واكتشاف الذرة ودراسة النقوس  
والأفاق فإن الأمر لا يستحق الاعتراض ، لأنه ليس من شأنها ولا من رسالتها !!  
إن الإسلام لا يقيم - في سباق الفضائل - وزنا لصفات الذكورة والأئمة ،  
فالكل سواء في العقائد والعبادات والأخلاق ، الكل سواء في مجال العلم والعمل  
والجد والاجتهاد .

لا خشونة الرجل تهب له فضلاً من تقوى ، ولا نعومة المرأة تنقصها حظاً من  
إحسان .

وفي القرآن الكريم « ... من يعمل سواءً يُجزَّ به ولا يُجْدَ له من دون الله ولا  
ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك  
يدخلون الجنة ولا يظلمون نثراً » .

وفي عالم الرياضة اليوم يُفصل بين مباريات الرجال والنساء ، وتتوسط  
مسافات وأرقام لكلا الجنسين على حدة .. ربما صَحَّ هذا في دنيا الألعاب لكنه  
مستحبيل في سباق الصالحات ، وكسب الآخرة ، ربما تقدمت امرأة فسبقت ذوى

اللهم دون حرج وربما تأخرت ولو كانت قرينة أحد الأنبياء . . ولذلك قلنا :  
امرأة فرعون خير منه ، ومريم أشرف من رجال كثرين ، ونوح ولوط خير من  
زوجاتهم !!

وأذكر أن أحد الناس قال لي : إن القرآن يرجع الذكورة على الأنوثة !  
ويسوق لزعمه قوله تعالى : « وليس الذكر كالأنثى » وهو فهم أعوج !  
فابحثة القرآنية وردت على لسان امرأة عمران التي كانت حاملا ، وظننت أنها  
ستلد رجلا يكون سادنا للمسجد الأقصى وقائدا للعبادين والدارسين فيه ، فلما  
فوجئت بخلاف ظنها وأنها ولدت أنثى ، قالت هذه الكلمة لأن المرأة لا تصلح  
لهذه القيادة بطبيعتها .

وقد قبلت الأمر الواقع لأنه مراد الله ! ودعت لابتها ولذريتها بالصيانة  
والرعاية فاستجاب الله الدعاء بأن أعلى قدر المولودة فوق ألف مؤلفة من البشر ،  
وأعلى قدر ابنها فجعله من الأنبياء أولى العزم . .  
ولاشك أن هناك وظائف تخص النساء وأخرى تخص الرجال ، ولا علاقة  
لهذه التخصصات بموازين العدل أو الفضل الإلهي .



## ما زلت نساؤنا ؟

من أيام العرب المشهورة في جاهليتهم الأولى يوم « ذى قار » عندما أغاد الفرس على أرض الجزيرة بجيش كبير ، وتناسى العرب خلافاتهم لمواجهة هذا الغزو ، والتقت القبائل في جبهة واحدة للوقوف أمامه .

يقول التاريخ : إن القائد العربى « حنظلة بن ثعلبة » أمر بقطع أخزنة المواذن الموضوعة فوق ظهور الإبل ، وأنزل النساء كى يمشين على الأرض وراء المقاتلين ، ثم نادى في الرجال بصوت سمعه قلب الجيش وجناحه : فليقاتل كل منكم عن حليلته !!

وكانت هذه الضيحة كفيلة بإشعال الحماس وقتل كل تردد ، فانهزم الفرس هزيمة نكراء وولوا مدبرين ..

وفي معركة أحد خرج نساء المشركين وراء الجيش الذى يطلب الثأر من هزيمتهم في بدر وهن يشندن حاثات الرجال على الحرب :

إن تقبلوا نعائق ونفرش النمارق !  
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق !

كان للنساء دور كما ترى في كسب المعارك ، وكانت هن دراية بقضايا المجتمع كبرها وصغرها !

وقد ظهر ذلك في بدء الوحي ، فإن أبا هب عم النبي - عليه الصلاة والسلام - كان مع امرأته في تكذيب الوحي ومقاومة الإسلام بضررها وحقد ! وكانت المرأة تسمى الرسول « مذما » لا محمدا !! وتقول « مذماً أبينا . ودينه قلينا . وأمره عصينا » .

ومشت بهذا الهجاء المصور في مجالس قريش تسفه وتطاول وتثبت الفتنة وتؤيد الكفر ، فنزل قوله تعالى فيها « وامرأته حالة الخطب في جيدها حبل من مسد » والمرأة كانت من كبراء قريش ، لاتشتغل بالاحتطاب وإنما شُبه سعيها بالواقعية والبذاءة وإيقاد العداوات ضد الإسلام بمن تحمل الخطب للوقود !!

قلت في نفسي : إذا رزق الضلال نسوة ينصرنه بهذه الحمية ، ويتبنّين قضاياه بهذه القوة فلماذا يحرم الإيمان نشاطاً نسائياً معارضاً له ، واقفاً ضده ؟ إن الذي أسقط آخر معاقل الإسلام في الأندلس هما « فرديناد وإيزابيلا » رجل وامرأة تكاثفاً على إسقاط علم التوحيد ! وفي النساء المسلمات آلاف وآلاف يستطعن خدمة الإيمان كما استطاعت الشركات خدمة الضلال فلماذا يحال بينهن وبين هذه الخدمة ؟

في الانتخابات الأمريكية كانت امرأة المرشح الديمقراطي لريادة الولايات المتحدة تسعى بجهودها لنصرة زوجها ، وظن الناس أنه كاسب المعركة ! ولما كانت المرأة يهودية فقد قيل : إن ملكة البيت الأبيض ستكون حليفة إسرائيل !

وشاء الله أن يتتصر الحزب الجمهوري ، فإذا الملكة المرتقبة يخامرها الأسى ! وحاولت أن تتغلب على آلامها بالخمر ، وهي الآن في المستشفى تعالج من الإدمان ! لأنها تحاول النسيان !

لقد تسائلت : ما هذا الإخلاص ؟ ما هذا الشعور العميق ؟ لماذا لا ينشغل نساؤنا بخدمة المثل الإسلامية بهذه القدرة ؟ من يمنعهن ؟ ما يمنعهن إلا جاهلون بالإسلام .

ما أجمل أن يتطاوع الزوجان ، وأن يتعاونا على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم !

كان سعد بن ناشر رجلاً حاد الطبع قاسي اللفظ ، فلم ترض بذلك امرأته ، ولاته على شراسة خلقه وقساوة كلماته ! فقال يدافع عن سيرته ويشرح حقيقة نفسه :

تفنّدن فيها ترى من شراستي وشدّة نفسي أم عمرو وما تدرى ! فقلت لها : إن الكريمة وإن حلاً ليُلْقى على حالٍ أَمْرٌ من الصبر ! وما بي على مَنْ لان لى من فظاظة ولكنني فظُّ أَبِي على القسر !

وهذا اعتذار جميل ! ولكن المهم فيها قصصنا . نصح الزوجة لرجلها ورغبتها في خيره وسلامته !

## نماذج .. من المجتمع العربي

وهذا رجل آخر سخنُ اليـد واسع العطاء يتصدق بالجمل من إبله الكثيرة على من جاء يـسأله عـطاء ، ويـقول لـامرأته : هيـئ حـبلا للـسائل يـقود به جـمله الـذى وـهـبـتـهـ لـهـ ، وـيـنـهاـ عـنـ لـوـمـهـ :

لـاـ تـعـذـلـنـيـ فـيـ العـطـاءـ وـيـسـرـيـ لـكـلـ بـعـيرـ جـاءـ طـالـبـهـ حـبـلاـ ..  
فـلـمـ أـرـ مـثـلـ الإـبـلـ مـاـ لـقـنـ وـلـاـ مـثـلـ أـيـامـ الـحـقـوقـ هـاـ سـبـلاـ ..

وـتـحـبـيـهـ اـمـرـأـتـهـ «ـ لـيلـ »ـ إـجـابةـ هـاـ وـزـنـهاـ عـنـ أـهـلـ السـخـاءـ وـالـفـضـلـ .ـ تـقـولـ :

حـلـفـتـ يـمـيـنـ بـابـنـ «ـ قـحفـانـ »ـ بـالـذـىـ تـكـفـلـ بـالـأـرـزـاقـ فـيـ السـهـلـ وـالـجـبـلـ .ـ  
تـزـالـ حـبـالـ مـخـصـدـاتـ أـعـدـهـاـ هـاـ مـاـ مـاشـىـ مـنـهـاـ عـلـىـ خـفـهـ جـمـلـ ..  
فـأـعـطـ وـلـاـ تـبـخـلـ لـمـنـ جـاءـ طـالـبـاـ فـعـنـدـيـ هـاـ خـطـمـ وـقـدـ زـاحـتـ الـعـلـلـ

إـنـ هـذـهـ النـمـاذـجـ مـنـ الـمـجـتمـعـ الـعـرـبـ الـأـوـلـ تـصـوـرـ فـضـائـلـ الإـيـثارـ وـالـسـيـاحـةـ الـقـىـ  
شـاعـتـ فـيـهـ وـالـقـىـ حـفـظـتـ تـواـزـنـهـ ،ـ وـجـعـلـتـ الـأـسـرـةـ مـصـدـرـ اـسـتـقـرـارـهـ وـسـنـائـهـ ،ـ  
وـلـاـ عـجـبـ فـالـأـسـرـةـ الـقـوـيـةـ هـىـ الدـعـامـةـ لـلـمـجـتمـعـ الـقـوـيـ ،ـ وـالـحـافـظـ الـأـوـلـ  
لـتـقـالـيدـ ..

وـجـاءـ الـإـسـلـامـ فـشـجـعـ الـمـرـأـةـ عـلـىـ الـجـودـ مـنـ مـالـ الـبـيـتـ -ـ بـمـاـ لـاـ يـضـرـهـ بـدـاهـةـ -ـ  
فـعـنـ عـائـشـةـ أـمـ الـمـؤـمـنـينـ ،ـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ -ـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ -ـ «ـ إـذـاـ أـنـفـقـتـ  
الـمـرـأـةـ مـنـ بـيـتـ زـوـجـهـ كـانـ هـاـ أـجـرـهـاـ ،ـ وـلـهـ مـثـلـ بـمـاـ كـسـبـ !ـ وـهـاـ بـمـاـ أـنـفـقـتـ !ـ  
وـلـلـخـازـنـ مـثـلـ ذـلـكـ مـنـ غـيـرـ أـنـ يـنـقـصـ مـنـ أـجـورـهـمـ شـىـءـ »ـ .ـ

وـعـنـ أـسـمـاءـ بـنـتـ أـبـيـ بـكـرـ الصـدـيقـ أـنـهـ قـالـتـ :ـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ لـيـسـ لـىـ شـىـءـ  
إـلـاـ مـاـ أـذـخـلـ عـلـىـ الزـبـيرـ .ـ أـىـ مـاـ جـاءـ مـنـ مـالـ الـخـاصـ بـهـ .ـ فـهـلـ عـلـىـ جـنـاحـ أـنـ أـرـضـخـ  
ـ أـنـ أـعـطـىـ .ـ عـاـمـاـ دـخـلـ عـلـىـ ؟ـ فـقـالـ :ـ «ـ اـرـضـخـىـ .ـ أـعـطـىـ .ـ مـاـ اـسـتـطـعـتـ وـلـاـ تـوـكـىـ  
ـ تـبـخـلـ .ـ فـيـوـكـىـ اللـهـ عـلـيـكـ »ـ !!

وـنـحـنـ نـسـاءـ عـنـ الـأـسـرـةـ الـعـرـبـيـةـ الـآنـ :ـ هـلـ بـقـيـتـ فـيـهـ تـقـالـيدـ الـعـطـاءـ  
وـالـإـفـضـالـ عـلـىـ طـلـابـ الصـدـقـاتـ وـالـمعـونـاتـ ؟ـ أـمـ غـلـبـتـهـ تـقـالـيدـ الـرـاوـفـدـةـ مـنـ  
الـغـرـبـ وـهـىـ تـقـالـيدـ تـقـومـ عـلـىـ الـأـثـرـةـ وـالـكـزاـزـ ؟ـ !!

هل ظل الرجال يশمرون بأنوفهم اعتزاً بحماية العرض وصيانته الأهل أم  
تسللت برودة التقاليد الأوروبية والأمريكية وأنشأت جيلاً آخر له منطق آخر؟  
لقد لاحظت أن المرأة الآن تفخر بأن لديها عشرات الفساتين ، الموافقة لآخر  
صيحة في عالم الأزياء ، ذاك إلى جانب ألوان الزينة وأدوات الترف وأسباب  
الإغراء .

لقد كان لنا في الجاهلية العربية خلائق أذكى ، يرسم معالمها حاتم الطائى  
وهو يقول لزوجته :

إذا ما صنعتِ الزاد، فالتمنى له أكلا ! فإنك لست آكله وحدى !!  
أخأ طارقا ، أو جار بيته ، فإني أخاف مذمّات الأحاديث من بعدى  
وإنْ لعَبْدُ الضيفِ مَادَامَ نازلا ! وما في إلا تلك من شيمَةِ العبدِ !  
ما أجمل أن يكون الزوجان أدبيين ، أو عالمين ، أو كريمين ، أو شجاعين !  
فإن قعدت بأحدِهما سُورَةً عارضةً ، أو وسوسَةً هابطةً أسرع إليه الآخر فأخذ  
بيه ، وسُدَّده على الطريق .

## امرأة .. بالف رجل !!

---

أجيال كبيرة من علماء الأزهر الذين تخرجوا في كلية أصول الدين مدینون أدبياً  
ومادياً لامرأة محسنة وقفت مالها لله ، وأنشأت منه مؤسسات يتفجر الخير منها منذ  
عشرات السنين ، وسيبقى كذلك ماشاء الله .

وأنا واحد من هؤلاء الذين نالهم ذلك العطاء الدافق ، فقد انتظمت بين  
طلاب هذه الكلية من نصف قرن أو يزيد ، وتلقيت الدروس من أفواه جملة من  
أكابر علماء الأزهر ، وقادة الفكر الإسلامي ، أتيحت لهم فرصة التعليم في  
قاعات المبني الذي أنشأته « الخازندار » ملحقاً بمسجدها الجامع الفخم !  
كانت الدراسة تبدأ أول العام بحفل مائج في المسجد الكبير تستمع فيه إلى  
توجيهه أن نطلب العلم لله لا لدنيا نصيبها أو جاء نستحبه ، مع تذكير بأئمة العلم  
الإسلامي وجهادهم الراكي في تربية الشعوب وحياة الحق ... ثم يذهب كل

منا إلى صفةٍ وفِي نَفْسِهِ قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ فِي صَفَةِ فَقِيهٍ حَنْفِي :  
أَنْفَقَ الْعُمَرَ نَاسِكًا ، يَطْلُبُ الْعِلْمَ يَبْحَثُ عَنْ أَصْلِهِ وَاجْتِهَادٍ !  
لَكُنْ مَنْ هُنَى الْخَازِنَدَارَةَ ؟ الَّتِي بَنَتْ كَلِيْتَنَا ؟

لَا نَدْرِي عَنْهَا شَيْئًا ! إِنَّ الْبَيْثَاتِ الَّتِي عَشَنَا فِيهَا قَدِيمًا تَوَاضَعَتْ عَلَى كَتَبَانِ  
أَسْمَاءِ النِّسَاءِ ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَذْكُرَ اسْمُ الْأُمِّ وَلَا اسْمُ الزَّوْجَةِ ! فَذَلِكَ عَيْبٌ لَا يَقْعُدُ  
فِيهِ أَهْلُ الإِيمَانِ ، لَعْلَ الْاسْمُ عُورَةً كَمَا أَنَّ الصَّوْتَ عُورَةً !!  
هَلْ الدِّينُ بَاعَثُ هَذَا الشَّعُورَ ؟ كَلَا ، فَقْبَلُ الْبَعْثَةِ الشَّرِيفَةِ صَاحَ النَّبِيُّ  
الْكَرِيمُ عَلَى الصَّفَافِ كَمَا ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلِ مَنَادِيَا صَفِيفَيَّةَ بَنْتِ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ ، وَفَاطِمَةَ بَنْتِ  
مُحَمَّدٍ يَدْعُوهُمَا إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَإِيمَانِ بِهِ وَحْدَهُ !

وَلَمْ يَكُنْ ذَكْرُ أَسْمَاءِ النِّسَاءِ عِيَّا وَلَا مَوْضِعٌ لَغْطٌ ! إِنَّ التَّدِينَ الْفَاسِدَ قَدْ يَبْعُدُ  
عَنِ الْفَطْرَةِ مُثْلِهِ أَوْ أَبْعَدُ مَا تَفْعَلُهُ الْجَاهِلِيَّاتِ الْكَرِيمَةِ ..

فَلَنَعْدُ إِلَى كُلِّيَّةِ وَمَسْجِدِ الْخَازِنَدَارَةِ بَعْدَ هَذَا الْإِسْتَطْرَادِ ، كَانَتِ الْكُلِّيَّةُ  
لِلْدَّرَاسَاتِ الَّتِي تَؤْهِلُ لِلشَّهَادَةِ الْعَالِيَّةِ ، أَمَّا الدَّرَاسَاتُ الْأَعُلَى فَكَانَتْ تَنْشَأُ هَذِهِ  
حَلْقَةُ دَاخِلِ الْمَسْجِدِ نَفْسِهِ ، وَهِيَ حَلْقَاتٌ صَغِيرَةٌ بَطْبِيعَتِهَا ، وَلَا أَزَالُ أَذْكُرُ مِنْظَرَ  
الشَّيْخِ أَمِينِ خَطَابِ الرَّئِيسِ الثَّانِي لِلْجَمْعِيَّةِ الشَّرِيفَةِ بِمَصْرَ ، وَهُوَ يَلْقَى الدَّرُوسَ  
فِي « عَلَلِ الْحَدِيثِ » ، وَكَانَ رَحْمَهُ اللَّهُ رَجْلًا بَكَاءً شَدِيدًا خَشِيَّةً اللَّهَ يَلْتَفِتُ حَوْلَهُ  
طَلْبَتِهِ وَكَانُوهُمْ فِي صَلَاةٍ خَاصَّةٍ !!

عَلَى أَعْدَادِ الطَّلَبَةِ زَادَتْ هَذِهِ وَهَنَاكَ ، وَرَبِّا إِلْهَاسُ بِضَرُورَةِ الْبَحْثِ عَنِ  
مَكَانٍ أَوْسَعَ ! وَهُنَا سَمِعْتُ مِنْ يَقُولُ : إِنَّهُمْ سَوْفَ يَضْمَمُونَ مِبْنَى الْمَلْجَأِ إِلَى  
الْكُلِّيَّةِ ، وَلَمْ أَعْلَمْ مَا هَنالِكَ ثُمَّ أَدْرَكْتُ أَنَّ السَّيْدَةَ الْمُحَسَّنَةَ بَنْتَ مَلْجَأِ الْلَّاِيْتَامِ يَؤْوِيْهِمْ  
وَيَغْذِيْهِمْ وَيَكْسُوْهُمْ ، وَأَرَصَدَتْ لَذَلِكَ مِنْ مَا لَهَا مَا يَسْعُ حَاجَةَ الْمُحْتَاجِينَ !  
وَلَا مَرُّ مَا لَمْ تَفْذِ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ ! وَقَالَ أَحَدُ السَّاحِرِينَ : لَعْلَهُ لَا يَوْجَدُ يَتَامَى !  
وَأَحْسَنْتَ أَنَا أَنْ جَلَّةَ الْأَهْدَافِ النَّبِيلَةِ تَضَيِّعَ فِي فَوْضَى التَّنْفِيذِ ، وَسُوءَ  
الرَّقَابَةِ ، وَفَقْدَانِ الْعَلَاقَةِ بِاللَّهِ ..

إِنَّ الْوَاقِفِينَ فَعَلُوا الْكَثِيرَ بِيَدِ الْمُنْفَذِينَ فَرَّطُوا وَخَانُوا .. وَلَا كَانَتْ مَصَائِبُ  
قَوْمٍ فَوَائِدٌ عِنْدَ قَوْمٍ ، فَقَدْ اتَّقَلَنَا نَحْنُ إِلَى مِبْنَى الْمَلْجَأِ الْخَالِيِّ ، وَتَلَقَّنَا دَرُوسَنَا فِي  
قَاعَاتِهِ الْخَالِيَّةِ ..

وأعتقد أن السيدة التي أسدت الجميل لم ينقص ثوابها ذرة ، فقد أدت ما عليها ، وتقربت إلى الله جهدها . . وما فعله الآخرون بتراثها يلقاهم يوم اللقاء الآخر « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » .

وفي أثناء تلقينا الدروس بمبنى الخازندارة ، بدأنا نسمع ضجيج بناء عمارة كبيرة فتساءلنا : ما هذا ؟ قالوا : مستشفى الخازندارة !

الحق أني دعوت من أعماق قلبي للمرأة الصالحة ! تبني معهداً ومسجدًا وملجأً ومستشفى ؟ تنشر العلم وتحمي العبادة وتربى اليتامي وتداوي المرضى ؟ أى قلب زكي في صدر هذه المرأة التي أقرضت الله قرضاً حسنا . . وادخرت عنده ما ينضر وجهها « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات من تحتها الأنهاres » .

الواقع أن النساء الصالحات كثُر في تاريخنا ، ما بخلن بمال ولا وقت في سبيل الله ، وقد أدين في صمت ما يعجز عنه الكثيرون ، ويستطيع الباحثون في بطون التواريخ أن يجدوا أسماء متواترة محرومة من الشهرة لها عند الله مكانة رفيعة لا ينالها غيرهم . .

رحم الله الخازندارة التي استودعت الله ماطها ، وجاهدت في سبيله بتقديم الدواء للمرضى والزاد للجياع ، والعلم لطلابه ، وألهم الرجال والنساء أن يتأسوا بها .





## في ضوء القرآن الكريم

- من نفس .. واحدة
- في المجتمع الاسلامي .. الأول
- حرية قبل الزواج .. وبعده
- المسئولية .. على قدم المساواة !
- المساواة والتفرقة .. للمصلحة !

يكتب هذا الفصل

د. محمد سيد طنطاوى

## ◆ من نفس .. واحدة ◆

إن المتذير للقرآن الكريم ، يراه قد خص المرأة بحديث مستفيض ، بين فيه حقوقها وواجباتها ، ورفع من شأنها ، وأثني عليها بما تستحقه من تكريم ، وشملها في جميع تشريعاته بالرحمة والعدل ، ووكل إليها أمورا هامة في حياة المجتمع ، وسوى بينها وبين الرجل في معظم شئون الحياة ، ولم يفرق بينهما إلا حيث تدعوا إلى هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين ، ومراعاة المصلحة العامة للأمة ، والحفاظ على تمسك الأسرة واستقامة أحواها ، بل ومنفعة المرأة ذاتها . ومن أبرز مظاهر تكريم القرآن للمرأة ، ووجوه المساواة بينها وبين الرجل ، ما يأتي :

تقرير أن المرأة والرجل من أصل واحد .

وهذه الحقيقة نراها في آيات متعددة ، منها قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منها رجالا كثيرا ونساء . . . » الآية ١ من سورة النساء .

والمراد بالنفس الواحدة هنا : آدم - عليه السلام - .

والمراد بقوله تعالى : « زوجها » حواء .

والمعنى : يا أيها الناس اتقوا ربكم ، بأن تعطيعوه فلا تعصوه ، ويأن تشكروه فلا تكفروه ، فهو وحده الذي أوجدكم بقدرته من نفس واحدة ، هي نفس أبيكم آدم ، وأوجد - أيضا - من هذه النفس ومن جنسها زوجها ، وهي حواء . ثم بين - سبحانه - ما ترتب على هذا الازدواج من تناسل فقال : « وبث منها رجالا كثيرا ونساء . . . » .

والبُثُّ معناه : النشر والتفرق . يقال : بث القائد الخيل في الحرب ، إذا فرقها ونشرها ، ومنه قوله تعالى : « وزرابي مبثوثة » أي : وأبسطة واسعة فاخرة ، منتشرة في كل مكان ، ومتفرقة في كل مجلس من مجالس أهل الجنة . والمعنى : ونشر من هذه النفس الواحدة وزوجها على وجه التوالي والتناسل ، رجالا كثيرا ، ونساء كثيرات .

والتعبير بالبُث ، يفيد أن هؤلاء الذين توادوا وتناسلا ، عن تلك النفس وزوجها ، قد تكاثروا وانتشروا في أقطار الأرض على اختلاف ألوانهم ولغاتهم ، وأن من الواجب عليهم منها تباعد ديارهم ، واختلفت أسلفهم وأشكالهم ، أن يدركوا أنهم جميعاً يتّبعون إلى أصل واحد ، وهذا يقتضي تراحمهم وتعاطفهم فيما بينهم .

وشيء بهذه الآية قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعرفوا ... » سورة الحجرات : الآية ١٣ .  
أي : يا أيها الناس إنا خلقناكم جميعاً من أب واحد هو آدم ، ومن أم واحدة هي حواء ، فأنتم ككلكم تتّسبون إلى أصل واحد ، وجعلناكم شعوباً ذات أعداد كبيرة ، وقبائل تمثل جزءاً من تلك الشعوب ، ليعرف بعضكم نسب بعض ، فيتتبّع كل فرد إلى آبائه ، ولتوافقوا فيما بينكم ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولتدركوا جميعاً أن أكرمكم عند الله تعالى هو أكثركم خشية لله ، واستجابة لأمره ، سواء أكان من الرجال أم من النساء .

وشيء - أيضاً - بهاتين الآيتين في الدلالة على أن الرجل والمرأة من أصل واحد ، قوله سبحانه : « فاستجيب لهم ربهم أن لا يضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ببعضكم من بعض ... » سورة آل عمران : الآية ١٩٥ .  
وقد جاءت هذه الآية الكريمة في أعقاب ذكر جانب من الدعوات الطيبات

الخاشعات ، التي تتّبع بها المؤمنون الصادقون إلى خالقهم .  
أي : فاستجاب الله تعالى لهؤلاء المتّقين دعاءهم ، وبشرهم بأنه لا يضيع عمل عامل منهم سواء أكان ذكراً أم أنثى ، لأن الذكر من الأنثى ، والأنثى من الذكر ، لأنهم جميعاً قد انحدروا من نفس واحدة .

فمعنى قوله سبحانه : « ببعضكم من بعض » : أن الذكر من الأنثى ، والأنثى من الذكر . وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة ، فأكّدت هذه الحقيقة ، وهي أن الرجل والمرأة من أصل واحد .

ومن هذه الأحاديث ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، وأبو داود والترمذى في سنّتها ، عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إنما النساء شقائق الرجال » .

وقد حرم القرآن الكريم تحريراً قاطعاً ، ما كان شائعاً بين بعض قبائل العرب في الجاهلية ، من تفضيل الذكور على الإناث ، ومن وأد البنات وهن صغار ومن الآيات التي وردت في ذلك قوله تعالى : «إِذَا الْمُوَءُودَةُ سُلِّتْ . بِأَيْ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» **«سورة التكوير : الآياتان ٨ ، ٩»**.

ولفظ «الموءودة» من الوأد ، وهو دفن الطفلة حية .  
أى : «إِذَا الْمُوَءُودَةُ سُلِّتْ ، عَلَى سَبِيلِ التَّبْكِيتِ وَالتَّقْرِيبِ لِمَنْ قُتِلَتْها ، لِأَى سببٍ مِّنَ الْأَسْبَابِ قُتِلَتْ كِلَّكِ؟!

ولاشك أنها لم ترتكب ما يوجب قتلها ، وإنما القصد من ذلك إلزام قاتلها الحجة ، حتى يزداد افتضاحاً على افتضاحه . وقد حكى القرآن الكريم في آيات أخرى ، ما كان يفعله بعض أهل الجاهلية من قتلهم للبنات وكراهيتهم لهن وذمهم على ذلك ذمًا شديداً ، فقال تعالى : «إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنثى ظُلِّ وجْهُهُ مُسُودًا وَهُوَ كَظِيمٌ» - أى وهو كثيرون حزينون - «يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ بَشْرٍ بِهِ ، أَيْمَسِكُهُ عَلَى هُونٍ» أى : أيمسكته على هوان ومذلة . «أَمْ يَدْسُهُ فِي بَ ، أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» **«سورة النحل : الآياتان ٥٨ ، ٥٩»**.

## سُبْحَانَهُ .. وَهُوَ مِنْهَا !!

ويبين سبحانه أنه وحده الذي يملك أن يمنع لمن يشاء الذكر ، وأن يمنع لمن يشاء الإناث ، فقال تعالى : «الله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكر . أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيلاً ، انه عليم قدير» **«سورة الشورى : الآياتان ٤٩ ، ٥٠»**.  
أى : لله تعالى وحده ملك جميع ما في السموات والأرض ، وليس لأحد معه شيء لا اشتراكاً ولا استقلالاً ، وهو سبحانه يخلق ما يشاء أن يخلقه ، من غير أن يكون لأحد وصاية عليه ، أو اختيار لشيء معين .

ثم يبين سبحانه أن أحوال الناس بالنسبة للذرية لا تخلو من أقسام أربعة : فهو سبحانه : إما أن يهب لمن يشاء من عباده الإناث فقط ، وإما أن يهب لهم الذكور فقط ، وإما أن يهب لهم الذكور والإناث معاً ، وإما أن يجعل بعضهم عقيلاً ، أى : لا ذرية له . يقال : رجل عقيم وامرأة عقيم إذا كانوا لا ذرية لها .

وهذه الأحوال الأربع ، كلها مشاهدة في حياة الناس ، مما يدل على كمال قدرته ، ونفاذ مشيئته وحكمته ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه . قال صاحب الكشاف - رحمه الله - فإن قلت : لم قدم الإناث أولاً على الذكور ؟ قلت : قدم الإناث لبيان أنه سبحانه يفعل ما يشاء لا ما يشاؤه الإنسان ، فكان ذكر الإناث اللائق من جملة مالا يريده بعض الناس أهم ، والأهم واجب التقديم .. « تفسير الكشاف : ح ٤ ص ٢٣٢ » .

ومن كل ذلك يتبيّن لنا أن الرجل والمرأة من أصل واحد ، وأنهما متساويان في طبيعتهما البشرية ، وأنه ليس لأحدهما من مقومات الإنسانية أكثر مما للآخر ، وأنه لا فضل لأحدهما على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وأن المفاضلة بين أي رجل وأية امرأة إنما تقوم على أمور أخرى خارجة عن طبيعتهما ، وهي الأمور المتعلقة بالكفاية ، والعلم ، ومكارم الأخلاق ، وما إلى ذلك ، كما هو شأن المفاضلة بين الرجال أنفسهم بعضهم مع بعض .

وأن ما كان يفعله بعض أهل الجاهلية من كراحتهم للإناث ومن قتلهن صغاراً ، هو من أفحش الفواحش ، وأقبح القبائح ، وأنكر المنكرات .. وأن منح الإناث فقط ، أو الذكور فقط ، أو الجماع بينهما ، مردّه إلى الله تعالى وحده ، ولا مدخل لمشيئة البشر في ذلك .

ولقد جاءت أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - فأكّدت هذه الحقيقة ، وهي أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة ، فقال - كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد والترمذى عن عائشة - « إنما النساء شقائق الرجال » . وأمر - صلى الله عليه وسلم - بإكرام النساء في أحاديث كثيرة ، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « استوصوا بالنساء خيراً » وروى الحاكم عن ابن عباس - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ما أكرم النساء إلا كريم ، وما أهان النساء إلا لثيم » .. وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « من ابتلى - أي : اختبر - من هذه البنات بشيء فاحسن إليهن كن له سترًا من النار » .

ولقد تغنى الأدباء والشعراء بمناقب النساء ، ورقة إحساسهن ، وحنان قلوبهن ، وجميل صبرهن .. وانظر إلى أمير الشعراء أحمد شوقي - رحمه الله - وهو

يرثى مصطفى باشا فهمى ، وقد توفى وترك عدداً من البنات ليس من بينهن  
رجل فيقول :

أبا البنات ، رزقتهن كرائماً ورزقت في أصهارك الكرماء  
لاتذهبن على الذكور بحسرة الذكر نعم سلالة العظام  
إن البنات ذخائر من رحمة وكنوز حب صادق ووفاء  
والساهرات لعلة أو كبيرة والصابرات لشدة وبلاء  
والباقياتك حين ينقطع البكاء والزائراتك في العراء النائي  
والذاكرياتك ماحين تحدثنا بسوالف الحرمات والألاء  
عذراً هن إذا ذهبن مع الأسى وطلبن عند الدمع بعض عزاء

### مساواة .. في التكاليف الشرعية !

كثيراً ما نرى القرآن الكريم يجمع بين الرجال والنساء في التكاليف الشرعية ،  
وفي الأوامر الدينية ، وفي الثواب على الإحسان ، وفي العقاب على المعصية ، وفي  
توجيه الخطاب إليهما . ومن الآيات القرآنية التي تدل على ذلك ما يأتى :  
قال تعالى : « إن المسلمين والملائكة ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين  
والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعات  
والخاشعات ، والصادقين والصادقات ، والصادمين والصادمات ، والحافظين  
فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكريات ، أعد الله لهم مغفرة  
وأجراً عظيماً » الأحزاب : ٣٥ .

فهذه الآية الكريمة قد اشتتملت على عشر فضائل جمع الله تعالى فيها بين  
الرجال والنساء ، وبين أن الثواب العظيم كائن من يتحلى بها ، سواء أكان من  
الذكور أم من الإناث .

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية روایات منها : ما أخرجه الإمام  
أحمد والنسائي وغيرهما عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : قلت للنبي - صلى  
الله عليه وسلم - ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت : فلم يُرْعَنِي  
منه - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم إلا نداء على المنبر ، وهو يتلو هذه الآية  
الكريمة .

وأخرج الإمام الترمذى في سنته عن أم عماره الأنصارية ، أنها أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ، ما أرى كل شيء إلا للرجال ، وما أرى النساء يذكرون بشيء . فنزلت هذه الآية .

وروى ابن جرير عن قتادة قال : دخل نساء على أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلن : قد ذكرن الله تعالى في القرآن ، وما يذكروننا بشيء ، أما فيما يذكر ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

والمعنى : « إن المسلمين والملائكة » : والإسلام : هو الانقياد لأمر الله تعالى ، وإسلام الوجه إليه ، وتفويض الأمر له - عز وجل - وحده .

« المؤمنين والمؤمنات » : والإيمان هو التصديق القلبي ، والإذعان الباطني ، لما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - من عند ربه .

« والقانتين والقانتات » : والقنوت : هو المواظبة على فعل الطاعات عن رضا واختيار وانشراح نفسى ، واطمئنان قلبي .

« والصادقين والصادقات » : والصدق : هو النطق بما يطابق الواقع ، والبعد عن الكذب والقول الباطل .

« والصابرين والصابرات » : والصبر : هو توطين النفس على احتمال المكاره والمشاق في سبيل الحق ، وحبس النفس عن الشهوات التي تتنافى مع مكارم الأخلاق .

« والخاشعين والخاشعات » : والخشوع : صفة تجعل القلب والجوارح في حالة انقياد تام لله تعالى ، ومراقبة له ، واستشعار بحلاله وهيبته .

« والتصدقين والتصدقات » : والتصدق : تقديم الخير إلى الغير بإخلاص ، دفعاً لحاجته ، وعملاً على عونه ومساعدته .

« والصائمين والصائمات » : والصوم تهذيب للنفس ، وحملها على طاعة الله تعالى ، حتى ترسخ فيها فضيلة التقوى ، والبعد عن كل ما لا يليق .

« والحافظين فروجهم والحافظات » : وحفظ الفرج : كنایة عن التعفف والتطهر ، والتصون عن أن يضع الإنسان شهوته في غير الموضع الذي أحله الله تعالى .

« والذاكرين الله كثيراً والذاكرات » : وذكر الله : يتمثل في النطق بما يرضيه ، كقراءة القرآن الكريم ، والإكثار من تسبيحه - عز وجل - وتحميده ،

وتكبره هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات من الرجال والنساء ، أعد الله تعالى لهم مغفرة واسعة لذنوبهم ، وأجرا عظيما لا يعلم مقداره إلا الله تعالى .  
وقال تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيشه حياة طيبة ، ولنجزئهم أجراهم بأحسن ما كانوا يعملون » **« سورة النحل : الآية ٩٧ »** . أي : من قدم في حياته العمل الصالح وهو صادق الإيمان ، سليم العقيدة ، فلنحيشه حياة طيبة في دنياه ، يظفر بها براحة البال ، ويسعدة الحال ، وبالأمان والاطمئنان .. أما في الآخرة فسنجزيه جزاء أكرم وأفضل مما كان يعمله في الدنيا من أعمال صالحة .

وقال سبحانه : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويتوفون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم . وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم » **« التوبه : الآيات ٧١ ، ٧٢ »** .

أي : أن من صفات المؤمنين الصادقين ، والمؤمنات الصادقات ، أنهم يتناصرون ويتعاونون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، وأنهم يأمرون بكل خير دعا إليه شرع الله تعالى ، وينهون عن كل شر تأباه تعاليم الإسلام الحنيف ، وأنهم يحافظون على أداء الصلاة في أوقاتها بخشوع وإخلاص ، ويؤدون الزكاة لمستحقها بدون من أو أذى ، وأنهم يطيعون الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - في سائر الأحوال بدون ملل أو كسل أو تكاسل ..  
أولئك المتصفون بتلك الصفات الكريمة من الرجال والنساء ، سيرحمهم الله تعالى برحمته الواسعة ، إنه عزيز لا يغلبه غالب ، حكيم في كل أقواله وأفعاله .  
ثم فصل سبحانه مظاهر رحمة للمؤمنين والمؤمنات أصحاب تلك الصفات فقال : وعد الله تعالى بفضلها وكرمه ، المؤمنين والمؤمنات ، جنات تجري من تحت بساتينها وقصورها الأنهار خالدين في تلك الجنات خلوداً أبداً .. ووعدهم كذلك « مساكن طيبة » أي : مساكن حسنة ، تنشرح لها الصدور ، وتستطيبها النفوس « في جنات عدن » أي : في جنات ثابتة مستقرة ، ولم يفوق ذلك كله : « رضوان من الله أكبر » ، أي : لهم رضا الله عنهم ، وتجليه عليهم ، وترفههم

بمشاهدة ذاته الكريمة . « ذلك هو الفوز العظيم » أى : ذلك الذي وعد الله تعالى به المؤمنين والمؤمنات ، هو الفوز العظيم الذي لا يقاربه فوز ، ولا يدانيه نعيم ، ولا يسامي شرفه شرف .

## خطاب خاص .. لهن !!

وقال سبحانه : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ويفحظوا فروجهم ، ذلك أذكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضبن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زياتهن إلا ما ظهر منها ، ولipسربن بخمرهن على حيوهن ، ولا يبدين زياتهن إلا بعولتهن أو آباتهن أو آباء بعولتهن ، أو آباتهن أو أبناء بعولتهن ، أو إخوانهن ، أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهم أو ما ملكت أيديهن ، أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زياتهن ، وتوبيوا إلى الله جيئاً إليها المؤمنون لعلكم تفلحون » سورة النور : الآياتان ٣٠ ، ٣١ .

أى : قل - أيها الرسول الكريم - للمؤمنين بأن يمنعوا أعينهم من النظر بما يحرم أو يُكره النظر إليه ، ويأن يحفظوا فروجهم عما لا يحل لهم ، فإن ذلك الذي كلفناك بأمر المؤمنين به - أيها الرسول الكريم - أذكى لقلوبهم ، وأطهر لنفوسهم ، وأنفع لهم في دنياهם وأخرتهم ، ونحن لا يخفى علينا شيء من تصرفاتهم ، وسنحاسبهم على ما يصنعون في دنياهم يوم القيمة .

ثم أرشد سبحانه النساء إلى ما أرشد إليه الرجال فقال : « وقل للمؤمنات يغضبن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زياتهن إلا ما ظهر منها .. »

أى : وقل أيها الرسول .. للمؤمنات أيضاً ، بأن من الواجب عليهم أن يكففن أبصارهن عن النظر إلى مالا يحل لهن ، وأن يحفظن فروجهن عن كل مانهى الله عنه ، ولا يظهرن شيئاً مما يتزين به إلا ماجرت العادة بإظهاره كالوجه والكفاف ..

ومع أن النساء يدخلن في خطاب الرجال على سبيل التغلب ، إلا أن الله تعالى خصهن بالخطاب هنا بعد الرجال ، لتأكيد الأمر بغض البصر ، وحفظ الفرج ، ولبيان أنه كما لا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة إلا في حدود ما شرعه الله ، فإنه لا يحل للمرأة - أيضا - أن تنظر إلى الرجل إلا في الحدود المشرعة ، لأن علاقتها بها كعلاقتها به ، ومقصدها منه كمقدسه منها ، ونظرة إحدهما للأخر - على سبيل الفتنة وسوء القصد - تؤدي إلى الشرور والآثام . قوله تعالى : « ولipسر بن بخمرهن على جيوبهن » بيان لكيفية إخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهي عن إبدائها .

والخُمُر - بضم الخاء والميم - جمع خمار . وهو ما تغطى به المرأة رأسها وعنقها وصدرها . والجِيُوب : جمع جيب ، وهو فتحة في أعلى الثياب يبدو منها بعض صدر المرأة وعنقها . والمراد به هنا : عمله ، وهو أعلى الصدر . أى : وعلى النساء المؤمنات أن يسترن رءوسهن وأعناقهن وصدرهن بخمرهن ، حتى لا يطلع أحد من الأجانب على شيء من ذلك .

والمقصود بزيتها في قوله تعالى : « ولا يبدين زيهن إلا لبعولتهن » : الزينة الخفية ، وهي ما عدا الوجه والكفاف ، كشعر الرأس والذراعين والساقين .. فقد نهى الله تعالى النساء المؤمنات عن إبداء مواضع الزينة الخفية لكل أحد ، إلا من استثنهم سبحانه بعد ذلك ، وهم إثنا عشر نوعا ، بداعهم بالبعول وهم الأزواج . أى : وعلى النساء المؤمنات أن يتزمن الاحتشام في مظهرهن ، ولا يبدين مواضع الزينة الخفية منها إلا لآزواجهن ، أو آباءهن ، أو آباء آزواجهن ، أو أبناء آزواجهن ، أو إخوانهن أو أبناء إخوانهن .. ويلحق بهؤلاء المحارم الأعمام والأحوال والمحارم من الرضاع ، والأصول وإن علوا ، والفروع وإن بعدوا .. قوله : « أو نسائهم ، أو مملكت أمائهم ، أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » بيان لبقية الأفراد الذين يجوز للمرأة أن تبدي زيهن الخفية أمامهم . أى : ويجوز للنساء المؤمنات أن يبدين زيهن - أيضا - أمام النساء المختصات بخدمتهن ، وأمام ما مملكت أمائهم من الإمام ، وأمام الرجال التابعين لهن طلبا للإحسان والمساعدة ، والذين في الوقت نفسه قد تقدمت بهم السن ، ولا رغبة

لهم في النساء ، كما يجوز لهن كذلك إظهار زينتهن أمام الأطفال الذين لا معرفة لهم بعورات النساء .

ثم نهى سبحانه النساء المؤمنات ، عن إبداء حركات تعلن عن زينتهن المستورة ، فقال : « ولا يضرن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » .

أى : ولا يصح لهن أن يضرن بأرجلهن في الأرض ، ليس معنٍ غيرهن من الرجال أصوات حلبيهن الداخلية ، بقصد التطلع إليهن » . والميل نحوهن بالمحادثة وما يشبهها . فالقصد بالجملة الكريمة نهى المرأة المسلمة عن استعمال أي حركة أو فعل من شأنها إثارة الشهوة أو الفتنة .

ثم ختم سبحانه هذه الآية الجامحة لأنواع من الآداب السامية بالنسبة للنساء بقوله تعالى : « وتبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » . ومن ذلك نرى أن هاتين الآيتين قد أمرت النساء بما أمرت به الرجال من غض البصر ، والتحلى بالعفاف ، والبعد عن كل ريبة وشبهة .

وقال سبحانه : « وما كان مؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ، أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً » . الأحزاب : ٣٦ .

قال الإمام ابن كثير : هذه الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء ، فليس لأحد من الرجال أو النساء خالفته ، ولا اختيار لأحد فيها قضى الله تعالى به . « تفسير ابن كثير : ح ٦ ص ٤١٧ » .

## وهند .. تحاور النبي !

وقد أمر الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يباع النساء كما بايع الرجال على التمسك بتعاليم الإسلام فقال سبحانه : « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يباعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن ، ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين بيتهان يفترن بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصبنك في معروف ، فبائعهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم » . سورة المتحدة : الآية ١٢ .

أى : يا أيها النبي الكريم ، إذا جاءك المؤمنات فاقدنات مبایعتك على عدم الإشراك بالله ، وعلى عدم السرقة ، وعلى عدم ارتكاب فاحشة الزنا .. ويبایعنك كذلك على عدم قتلهن لأولادهن ، وعلى التزامهن بالصدق والغفاف ، وعلى طاعتكم في كل ما تأمرهن به أو تنهن عنه .  
إذا جاءك المؤمنات فاقدنات مبایعتك على كل ذلك ، فبایعهن ، واستغفر لهن الله عما فرط منهن من ذنوب ، إن الله تعالى واسع المغفرة والرحمة لمن يشاء من عباده .

فالآلية الكريمة صريحة في أن النساء يتساوين مع الرجال ، في مبایعتهن للرسول - صلی الله علیه وسلم - على الالتزام بالتكاليف الشرعية ، التي كلف الله تعالى بها الرجال .

وهذه المبایعة للنساء قد وقعت - كما يقول العلماء - أكثر من مرة ، إذ منها ما وقع في أعقاب صلح الحديبية ، بعد أن جاء إلى الرسول - صلی الله علیه وسلم - بعض النساء المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام ، كما حدث من أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، ومن سبعة الإسلامية ، ومن أميمة بنت بشر ..

ومنها ما وقع في أعقاب فتح مكة ، فقد جاء إليه - صلی الله علیه وسلم - بعد فتحها نساء من أهلها لمبایعته - صلی الله علیه وسلم - على الإسلام .  
قال الآلوسي : « ومن بایعن الرسول - صلی الله علیه وسلم - في أعقاب فتح مكة : هند بنت عتبة - زوجة أبي سفيان - وقد دارت بينها وبين الرسول - صلی الله علیه وسلم - محاورة منها : أنه - صلی الله علیه وسلم - لما قرأ « ولا يسرقن » .

قالت : والله إن لأصيـبـ المـهـنةـ - أـىـ : الشـئـ القـلـيلـ - من مـالـ أـبـيـ سـفـيـانـ ، وما أـدـرـىـ أـيـحـلـ ذـلـكـ أـمـ لـاـ ؟ـ فـقـالـ النـبـيـ :ـ مـاـ أـصـبـتـ مـنـ شـئـ فـيـهاـ مـضـىـ فـهـوـ حـلـالـ لـكـ .

فلـمـ قـرـأـ - صـلـیـ اللهـ عـلـیـهـ وـسـلـمـ - «ـ وـلـاـ يـزـنـيـنـ »ـ قـالـتـ :ـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ أـوـ تـزـفـ المـحـرـةـ؟ـ؟ـ

فلـمـ قـرـأـ «ـ وـلـاـ يـقـتـلـ أـوـلـادـهـنـ »ـ قـالـتـ :ـ رـبـيـنـاـهـمـ صـغـارـاـ ،ـ وـقـتـلـتـهـمـ كـبـارـاـ .ـ تـشـيرـ إـلـىـ قـتـلـ،ـ اـبـنـاـ حـنـظـلـةـ فـيـ خـزـوـةـ بـدرـ ،ـ وـفـيـ روـاـيـةـ أـنـهـ قـالـتـ :ـ «ـ قـتـلـتـ الـآـبـاءـ

وتوصينا بالأنباء ؟ تشير إلى مقتل أبيها وعمها في غزوة بدر !!  
فليقرأ « ولا يأتين بهتان يفترنه بين أيديهن وأرجلهن » قالت : إن البهتان  
- أى الكذب - لقبيح ، ولا يأمر الله إلا بالرشد ومكارم الأخلاق .  
فليقرأ « ولا يعصينك في معروف » قالت : والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي  
أنفسنا أن نعصيك .

هذا ، وقد اتفقت الكلمة العلماء على أن كل خطاب موجه للرجال من جهة  
الشارع الحكيم ، هو موجه - أيضا - إلى النساء ، إلا مانص فيه على خصوصية  
الرجال به ، أو منع مانع من عمومه للجنسين ، واشتهر هذا بين العقلاء حتى  
صار معلوما من الدين بالضرورة .



## ❖ في المجتمع الإسلامي .. الأول ❖

ومن مساواة المرأة للرجل في طلب العلم والمعرفة .  
لم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة في طلب العلم ، وإنما طلب منها التزود  
بالعلم النافع ، وبالثقافة الفيدة ، وبالمعرفة التي تعود عليهم وعلى أمتهم بالخير .  
ولنجد شرف الله تعالى - أهل العلم - سواء أكانوا من الرجال أم من النساء  
تشريفاً عظيماً ، ومن مظاهر ذلك :

أنه سبحانه قرنهم بملائكته في الشهادة له بالوحدانية فقال : « شهد الله أنه  
لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم »  
« سورة آل عمران : الآية ١٨ » .

وأنه قصر خشيته والخوف منه عليهم ، فقال تعالى : « إنما يخشى الله من عباده  
العلماء » « سورة فاطر : الآية ٢٨ » .

وبين سبحانه أن العلماء وحدهم هم الذين يعقلون ما يضر به للناس من أمثل  
فقال : « وتلك الأمثال نضر بها للناس وما يعقلها إلا العالمون » « العنكبوت :  
الآية ٤٣ » .

ونفي - عز وجل - التسوية بينهم وبين غيرهم فقال : « قل هل يستوي الذين  
يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولوا الألباب » « سورة الزمر : ٩ » .  
ورفع درجاتهم عنده فقال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم  
درجات » « سورة المجادلة : الآية ١١ » .

ثم جاءت أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - فأكدت هذا التشريف  
والتكريم ، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن معاوية بن أبي سفيان ، عن  
النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .  
وروى أبو داود والترمذى عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - يقول : « من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً ، سهل الله له طريقاً إلى  
الجنة » . . وإن العلماء ورثة الأنبياء . أى : ورثتهم في تبليغ شريعة الله وهداية  
الناس ، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به  
أخذ بحظ وافر » .

ولقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في حق التعلم والثقافة لكل منها ، فقد أعطى المرأة الحق نفسه الذي أعطاه للرجل في هذه الشؤون ، فأباح لها أن تحصل على ما تشاء الحصول عليه من علم نافع ، وأدب رفيع ، وثقافة متنوعة ، ومعرفة مفيدة ، بل أن شريعة الإسلام تتوجب عليها ذلك في الحدود الالزمة لوقوفها على أمور دينها ، وحسن قيامها بوظائفها في هذه الحياة . وقد حث الرسول - صلى الله عليه وسلم - على طلب العلم ، وجعله فريضة عليهم في هذه الحدود ، فقال - صلى الله عليه وسلم - « طلب العلم فريضة على كل مسلم » أى : على كل فرد مسلم ، رجلاً كان أو امرأة بدون تفرقة بينهما .

ولقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يجعل وقتاً للنساء يخصهن فيه بالإرشاد والتوجيه والتعليم والإجابة على أسئلتهن .

فقد أخرج البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري قال : قالت النساء للنبي - صلى الله عليه وسلم - غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً لقيهن فيه ، فوعظهن وأمرهن ، فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها ، إلا كن لها حجاباً من النار . فقالت امرأة : واثنين ، فقال : واثنين » .

وفي حديث آخر : جاءت امرأة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتي إليك فيه ، تعلمنا ما علمك الله . قال - صلى الله عليه وسلم - فاجتمعن يوم كذا وكذا ، فاجتمعن فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعلمهن ما علمه الله » .

وفي المجتمع الإسلامي الأول كان على نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - مسئولية التعلم والتعليم ، قال تعالى مخاطباً أمهات المؤمنين : « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ، إن الله كان لطيفاً خبيراً » « سورة الأحزاب : الآية ٣٤ » . وآيات الله تعالى : هي القرآن الكريم ، والحكمة : هي السنة النبوية الشريفة وكان بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - مدرسة تعاونه فيها نسوة ، وبخاصة فيما يتعلق بأمور المرأة المسلمة ، وشأنها الخاصة ، فضلاً عن متابعتهن الدقيقة للكتاب والسنة المطهرة .

وقد ذكرت أمهات المؤمنين وغيرهن من الصحابيات ، كثيراً من الأحاديث النبوية في موضوعات شتى ، وكان للسيدة عائشة - رضي الله عنها - النصيب الأكبر في ذلك ، بل كان بعض الصحابة يرجعون إليها إذا ما خفي عليهم شيء يتعلق بالسنة النبوية المطهرة أو بغيرها ..

## المراة شيخا .. واستاذة .. ورواية !!

وقد ذكر الإمام ابن سعد في طبقاته ح ٢ ص ٣٧٥ نماذج لذلك منها : ما جاء عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : « ما كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشكون في شيء إلا سألا عائشة ، فيجدون من ذلك عندها علمًا » .

وعن قبيصة بن ذؤيب قال : « كانت عائشة أعلم الناس . يسألها الأكابر من السخابة » .

وعن أبي سلمة قال : « ما رأيت أحدا أعلم بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أفقه في رأي إن احتاج إلى رأي ولا أعلم بأية فيها نزلت ، ولا فريضة ، من عائشة » .

ولقد كانت - رضي الله عنها - تصحح للناس ما أخطأوا في فهمه ، وترشدهم إلى العلم القويم ، والرأي السليم في المسألة .

ومن ذلك ما رواه البخاري عن عروة بن الزبير قال : سألت عائشة - رضي الله عنها - فقلت لها : أرأيت قوله تعالى : « إن الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة !!

فقالت له : بشن ما قلت يابن أخي !! إن هذه الآية لو كانت كما أؤلتها <sup>أ</sup> : فسرتها - لكانـت : لا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، ولكن الآية نزلت في الأنصار . كانوا قبل أن يدخلوا في الإسلام يهلكون لمناه الطاغية - أي : يطوفون أو يتمسحون بهذا الصنم ، وكان قربا من الصفا والمروة ، فلما أسلموا سألا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك ، فقالوا يا رسول الله : إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة ، فأنزل الله هذه الآية .

ثم قالت : « وقد سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الطواف بهما ، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما » .

فأنت ترى أن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قد أرشدت ابن اختها عروة بن الزبير ، إلى التفسير الصحيح للآية الكريمة ، حيث بينت له أن الآية الكريمة قد نزلت لتبيح لل المسلمين السعي بين الصفا والمروة ، بعد أن كان بعضهم يتحرج

من ذلك ، لأنهم كانوا في الجاهلية يتمسحون بالأصنام في هذا المكان ، وهم لا يريدون بعد الإسلام أن يعملوا عملاً يذكرهم بما كانوا يفعلونه في الجاهلية . بل أن معارفها - رضى الله عنها - لم تكن مقصورة على الشؤون الدينية ، أو آداب العرب وأنسابها ، مع قدرتها الفائقة على التعبير والخطابة ، ولكنها اكتسبت معارف في الطب كانت ترشد المرضى بها ، وحين سئلت من أين هذا العلم لك بالطب أجابت : «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثُرَت أسماءه ، فكان أطباء العرب والعجم يبعثون له ، فتعلمت ذلك منهم» .

وقد ضرب الرسول - صلى الله عليه وسلم - أروع مثل في تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة في التسلح بسلاح العلم النافع ، وفي التزود بالمعرفة الصحيحة النافعة ، وفي الحرص على تعلم القراءة والكتابة ..

ومن الشواهد على ذلك ، ما جاء في كتب السنة والتاريخ أن الشفاء العدوية - وهي سيدة من قبيلة بن عدى - كانت تعرف الكتابة ، وكانت تعلم الفتيات في الجاهلية ، وكانت حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنها - قد تعلمت عنها الكتابة قبل زواجهها بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فلما تزوجها - صلى الله عليه وسلم - طلب من الشفاء العدوية ، أن تواصل تعليمها لحفصة ، وأن ترشدها إلى تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة . أخرج الإمام مسلم وأبو داود عن الشفاء قالت : دخل على النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنا عند حفصة بنت عمر ، فقال لي : «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة»؟ ويقصد - صلى الله عليه وسلم - برقية النملة : تحسين الخط وتزيينه . ولقد ذكر المرحوم عبدالله عفيفي في كتابه النفيس : «المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها» . ح ٢ ص ١٣٨ : نماذج متعددة لنساء برزن في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية وغيرها ..

ومن ذلك أنه ذكر أن الإمام الحافظ بن عساكر المتوفى سنة احدى وسبعين وخمسين من الهجرة ، كان له من بين شيوخه وأساتذته بعض وثباتون من النساء . ثم قال : «وقد عقد محمد بن سعد فصلاً في كتابه الطبقات ، لروايات الحديث من النساء . أق فيه على نِيَف وسبعين امرأة ، روين عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو عن الثقات من أصحابه ، وروى عنهن أعلام الدين . وأئمة المسلمين» .

والأمم العاقلة الرشيدة في كل زمان ومكان ، هي التي تحرص على نشر العلم النافع بين الرجال والنساء على السواء بدون تفرقة بينهم ، ورحم الله شاعر النيل حافظ إبراهيم ، فقد قال :

من لي بتربيه النساء فإنها في الشرق علة ذلك الإلخفاق  
الأم مدرسة إذا أعددتها أعددتها طيب الأعراق  
الأم روض إن تعهدت الحياة بالرُّوى أورق أيها إيراق  
الأم أستاذ الأساتذة الالى شغلت مأثيرهم مدى الأفاق  
ربوا البنات على الفضيلة إنها في الموقفين هن خير وثاق  
وعليكم أن تستبين نساؤكم نور الحياة ، وعلى الحياة الباقي



## حرية .. قبل الزواج وبعده

إن الذي يتأمل في شريعة الإسلام ، يراها قد سوت بين الرجل والمرأة فيما يسمى بالحقوق المدنية على اختلاف أنواعها ، فأعطت المرأة الحقوق المدنية التي أعطتها للرجل ، لا فرق في ذلك بين حالها قبل الزواج ، وحالها بعده ، ومن أهم مظاهر ذلك ما يأتى :

أن شريعة الإسلام أحاطت حقوق الفاقيرات من البنات بسياج من الرعاية والحماية ، فإن كان لها مال خاص انتقل إليها عن أي طريق من طرق التملك المشروعة ، كالميراث والهبة والوصية وما يشبه ذلك ، وجب على ولديها أن يحافظ على هذا المال ، وأن يعمل على تنميته واستثماره حتى تكبر فيؤديه إليها كاملاً غير منقوص .

وفي مطلع سورة النساء آيات متعددة ، أمرت بالمحافظة على أموال اليتامي ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : « واتوا اليتامي أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيرة بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ، إنه كان حرباً كبيراً » الآية ٢ .  
أي : عليكم - أيها الأولياء والأوصياء - أن تحافظوا على أموال اليتامي الصغار ذكوراً كانوا أم إناثاً ، واحذرؤا أن تجعلوا رديء المال لهم ، وجيده لكم ، واحذرؤا - أيضاً - أن تضموا أموالهم إلى أموالكم فتأكلوها مع أموالكم ، لأن ذلك العمل من باب الظلم العظيم الذي يحاسبكم الله على فعله حساباً عسيراً ، ويعذبكم بسيبه عذاباً أليماً .

وقال سبحانه : « وابتلوا اليتامي حتى إذا بلغوا النكاح ، فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ، ولا تأكلوها إسرافاً ويداراً أن يكروا ، ومن كان غنياً فليستعفف ، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم ، وكفى بالله حسبياً » الآية ٦ .

أي : عليكم - أيها الأولياء والأوصياء - أن تختبروا اليتامي ، وذلك بتتبع أحوالهم في الاهتمام إلى ضبط الأمور ، وحسن التصرف في الأموال ، فإن شاهدتم منهم « رشداً » أي : صلاحاً في عقوفهم ، وحفظاً لأموالهم ، « فادفعوا إليهم أموالهم » دون تأخير أو مماطلة عن سن البلوغ ، ولا تأكلوها مسرفين في الأكل ، ومبادرين في الأخذ خشية أن يكروا ..

ومن كان غنياً منكم أية الأولياء ، فليستعنف عن أكل مال اليتيم ، ومن كان فقيراً فليأخذ من مال اليتيم على قدر حاجته ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم بعد البلوغ والرشد ، فأشهدوا إليهم عند الدفع ، وكفى بالله تعالى محسباً لكم ، مراقباً لأحوالكم .

ومعنى كانت المرأة بالغة عاقلة ، أباحت لها شريعة الإسلام أن تتعارف عن طريق البيع أو الشراء أو الهبة أو الوصية ، أو ما يشبه ذلك من العقود ، وأعطتها كامل الأهلية في تحمل الالتزامات ، وفي تلك ما ت يريد أن تتملكه من أموال أو عقارات أو منقولات ، وأن تتصرف فيها تملكه بالطريقة التي تختارها ، ولا يصح لوليهما أو لزوجها أن يتصرف في أموالها إلا بإذنها ، أو بتوكيدها إياه في التصرف نيابة عنها ، ويجوز لها أن تسقط هذه الوكالة متى شاءت ، وأن توكل من ت يريد وكالتها عنها . وهي في كل ذلك مثلها كمثل الرجل سواء بسواء دون أي تفرقة بينهما ، وهذا مما اتفقت عليه كلمة الفقهاء .

وأباحت شريعة الإسلام للمرأة أن تختار الزوج الذي تريده اختياراً حراً لا إكراه معه ولا إجبار ، وأوجبت على ولديها أن يبدأ بأخذ رأيها عند زواجهما ، وأن يعرف رأيها قبل العقد ، لأن الزواج معاشرة دائمة ، ولا يدوم الوئام ، ويبيق الود والانسجام ، مالم يعرف إنها راضية عنه ..

ومن هنا منعت شريعة الإسلام إكراه المرأة - بكرها كانت أم ثيباً - على الزواج من لا تريده الارتباط به ، وجعلت العقد عليها دون استئذانها غير صحيح ، وأباحت لها حق المطالبة بفسخ عقد الزواج ، إبطالاً لتصرفات الولي المستبد ، الذي عقد عليها بدون إذنها أو رضاها .

وقد ورد في وجوب استئذان المرأة قبل زوجها أحاديث متعددة ، منها ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « الثيب أحق بنفسها من ولديها » أي : أحق بنفسها في أن ولديها لا يعقد عليها إلا برضاهما - والبكر تستأذن في نفسها ، وإذنها صحيحتها - أي : سكوتها . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « لاتنكح الأيم - أي التي لا زوج لها وسبق لها الزواج - حتى تستأمر - أي : حتى تصرح برضاهما ، ولا البكر حتى تستأذن . قالوا : يا رسول الله ، كيف إذنها ؟ قال : أن تسكت » .

وأخرج البخاري وغيره ، عن خنساء بنت خدام ، «أن أباها زوجها وهي ثيب ، فأتت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرد نكاحها». وروى ابن ماجه عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : « جاءت فتاة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت له : يا رسول الله ، إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأمر إليها - أى : في قبول الزواج أو عدم قبوله - فقالت : قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء ». وإذا اختارت المرأة زوجا ، ولم يرض ولديها به من غير سبب شرعى ، فلها أن ترفع الأمر إلى القاضى ليتولى عقد زواجها مع من اختارته زوجا . بل لقد ذهب الإمام أبو حنيفة إلى أكثر من ذلك ، فقرر أن للمرأة البالغة الرشيدة ، أن تتزوج نفسها من تشاء ، بشرط أن يكون كفافا لها ، وليس لولديها حق الاعتراض عليها إلا إذا زوجت نفسها من غير الكفاء ، أو كان مهرها أقل من مهر مثلها .. ومن حجج الإمام أبي حنيفة في ذلك : أنها مادامت تستقل بعقد البيع وغيره من العقود ، فمن حقها أن تستقل بعقد زواجها ، إذ لا فرق بين عقد وعقد ..

## ضيق المسالك .. ووجوب الاحتياط !

---

أمرت شريعة الإسلام كل من له علاقة بالنساء من الأزواج والأباء وغيرهم ، أن يسلموا الزوجة حقوقها كاملة غير منقوصة ، سواء أكانت تلك الحقوق تتعلق بالمهور أم بغيرها ، ومن الآيات القرآنية التي قررت هذا المعنى قوله تعالى : « وَاتَّوَ النِّسَاءُ صِدْقَاتِهِنَّ نَحْلَةً ، إِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُنَّ فَكُلُوهُ هَنِئُوا مَرِيثَا » « النساء : ٤ ». قوله : « صدقاتهن » جمع صدقة - بضم الدال - وهي ما يعطى للمرأة من المهر . قوله : « نحله » أى : عطية واجبة . يقال : نحل فلان فلانا كذا ، إذا أعطاها إياه عن طيب نفس بلا مقابل .

والمعنى : وأعطوا النساء مهورهن عطية عن طيب نفس منكم ، لأن هذه المهر قد فرضها الله تعالى هن ، فلا يجوز أن يطمع فيها طامع ، أو يغناها مغنا .. وقد كان بعض الأزواج في الجاهلية لا يعطى الزوجة شيئا من مهرها ، ويقول لها : أرثك وترثيني ؟ فتفعل له : نعم ، فأبطل الإسلام ذلك .

كما كان بعض الآباء في الجاهلية يأخذون مهور بناتهن ، ولا يعطوهن شيئاً منها ، ولذا كانوا يقولون لمن ولدت له بنت : هنيئاً لك النافجة . أى : هنيئاً لك هذه البنت التي تأخذ مهرها إيلا فتضمها إلى إيلك ، فتفتح مالك ، أى : تزیده . قوله تعالى : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفسها فكلوه هنيئاً مريئاً » : بيان للحكم الشرعى ، فيها لو تنازلت الزوجة عن شيء من مهرها لزوجها أو لأبها عن طيب نفس منها . أى : فإن تنازلن لكم عن شيء من مهورهن عن طيب نفس ، وساحة قلب ، فكلوه أكلا سائغاً هنيئاً ، حالياً من شبهة الحرام . قال صاحب الكشاف : وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ، ووجوب الإحتياط ، حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل ، فإن طبن ولم يقل فإن وهب أو سمحن ، إعلاماً بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب عن طيب خاطر .

والمعنى : فإن وهب لكم شيئاً من الصداق ، وتجافت عنه نفوسهن طيبات لا لحياء عرض هن منكم أو من غيركم ، ولا لاضطرارهن إلى البذل من شकاسة أخلاقكم ، وسوء معاشرتكم فكلوه هنيئاً مريئاً » « تفسير الكشاف ح ١ ص ٤٧١ ». هذا ، ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية : أنه لابد في الزواج من مهر يعطي للمرأة ، وهو أمر لا خلاف فيه بين العلماء .. وأن هذا المهر ملك لها ، ومن حقها أن تتصرف فيه كما شاءت ، ولا يجوز لأحد أن يأخذ منه شيئاً إلا بإذنها ورضاهما .

قررت شريعة الإسلام أن الرجل إذا أراد الانفصال عن امرأته ، لا يجوز له أن يأخذ شيئاً من أموالها الخاصة بها إلا برضاهما . ومن الآيات القرآنية التي أكدت ذلك قوله تعالى : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتیتم أحداهن قنطرًا فلا تأخذوا منه شيئاً ، أتأخذونه بہتاننا وإثنا مبيناً . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » « النساء الآياتان ٢٠ ، ٢١ ». أى : وأن أردتم - أيها الأزواج - أن تتزوجوا بأمرأة ترغبون فيها ، مكان أخرى لا ترغبون فيها ، وإنما ترغبون في طلاقها ، وكتنم قد أعطيتم هذه الزوجة التي تريدون طلاقها مالاً كثيراً على سبيل الصداق أو الهبة أو ما يشبههما مما تتحقق معه ملكيتها لهذا المال ، فلا يصح لكم في هذه الحالة أن تأخذوا من هذا المال

شيئاً ، لأنه صار ملكاً خالصاً لها ، ولأن الفراق كان بسبب من جانبكم وليس من جانب زوجاتكم .

والاستفهام في قوله تعالى : « أتأخذونه بہتنا و إثما مبينا » للإنكار والتوبیخ ثم كرر سبحانه هذا التوبیخ لمن يأخذ مالاً من زوجته بغير حق فقال : « وكيف تأخذونه » أي : بأى وجه تستحلون هذا المال من زوجاتكم ، والحال أنه « قد أفضى بعضكم إلى بعض » أي : قد اختلط بعضكم ببعض ، وصار كل واحد منكم لباساً لصاحبه « وأخذن منكم مثاقاً غليظاً » أي : وأخذ زوجاتكم منكم عهداً وثيقاً مؤكداً ، لا يحل لكم أن تنقضوه ، وهو حسن المعاشرة ، والمفارقة بإحسان .

وغمى عن البيان أن الشريعة التي أعطت للمرأة حرية التملك ، والتصرف ، والتعلم ، وغير ذلك من الحقوق ، لا تبخّل عليها بحرية التعبير عن رأيها .. ولعل خير مثال نسوقه لذلك يتعلق بالأية السابقة ، فقد أورد العلماء أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خطب الناس مرة فقال : ألا لا تغالوا في مهور النساء ، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا ، لكان أولئك بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن رسول الله ما أصدق فقط أمرأة من نسائه ولا من بناته ، فوق اثنى عشرة أوقية ..

فقامت إليه إمرأة فقالت : يا عمر يعطينا الله وتحرمنا ؟ أليس الله تعالى يقول : « وآتيتكم أحداهن قنطرة فلا تأخذوا منه شيئاً .. » ؟  
قال عمر : أصابت امرأة وأخطأ عمر ، ثم رجع عن قوله .

## الله يسمع .. قولها !

ولقد حكى لنا القرآن الكريم ، قصة تلك المرأة ، التي أتت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخذت تجادله في شأن ما دار بينها وبين زوجها ، وتراجعه القول مرة ومرة ، فقال تعالى : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركم إن الله سميع بصير . الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ، إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهن ، وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً . وإن الله لغفور لغفور . والذين يظاهرون من نسائهم ،

ثم يعودون لما قالوا ، فتحرير رقبة من قبل أن يتهموا ، ذلكم توعظون به ، والله بما تعملون خير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتهموا ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ، ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله ، وللكافرين عذاب أليم » « سورة المجادلة : ١ - ٤ ». وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات روایات منها : ما أخرجه الإمام أحمد عن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن خولة بنت ثعلبة قالت : في شأن وفي شأن زوجي - أوس بن الصامت - أتزل الله هذه الآيات .

قالت : كنت عنده ، وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه ، فدخل على يوما فراجعته في شيء فغضب وقال : أنت على كظهر أمري .

قالت : ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ، ثم رجع ، فإذا هو يريدني ، فقلت له : كلا والله لا تصل إلى وقد قلت ما قلت ، حتى يحكم الله ورسوله فيما بحكمه ..

قالت : ثم ذهبت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحكيت له ما قاله ، فقال - صلى الله عليه وسلم - ما أمرت بشيء في شأنك حتى الآن ، وما أراك إلا قد حرمت عليه - وكان الرجل إذا قال هذا اللفظ لا تخل له امرأته حتى تنكح زوجا غيره .

قالت : فأخذت أجادل النبي - صلى الله عليه وسلم - وأراجع وأقول : يا رسول الله إنه ما ذكر طلاقا .. ثم تضرعت إلى الله وقلت : اللهم إنك تعلم أن زوجي شيخ كبير ، وأنا امرأة عجوز ، ولا غنى له عنى ولا غنى لي عنه ، وإن لي منه أولادا ، إن تركتهم عنده ضاعوا ، وإن أخذتمهم معى جاعوا ، اللهم فرج كربني وأحلل عقدق » .

قالت : وما برأحت من جانب الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى نزلت هذه الآيات .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ما كان يجري بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبين نسائه من مناقشات تدل على إفساح صدره - صلى الله عليه وسلم - لأرائهم عندما كن يطلبن منه الزيادة في النفقة ..

ومن الآيات التي أشارت إلى ذلك قوله تعالى : « يا أيها النبي قل لآزواجك إن كتن تردن الحياة الدنيا وزيتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جيلا .

وإن كتتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكן أجرا عظيماً » الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩ .

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هاتين الآيتين روایات منها : ما جاء في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم . قال : فأذن لأبي بكر فدخل .

ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النبي - صلى الله عليه وسلم - جالساً حوله نساؤه .

فقال عمر : والله لا أقول شيئاً يُضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله . لو رأيت بنت خارجة - زوجة عمر - سألتني النفقة ، فقمت إليها فوجأت عنقها ..

فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : « هن حولي كما ترى يسألنني النفقة » .

قال : فقام أبو بكر إلى ابنته عائشة يضربيها ، وقام عمر إلى ابنته حفصة ليضربيها ، وكلامها يقول : تسألن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما ليس عنده !؟

فقلن : والله لا نسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً أبداً ليس عنده .

ثم نزلت هاتان الآيتان ، فبدأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعائشة فقال لها : يا عائشة ، إن أريد أن أعرض عليك أمراً ، وأحب ألا تتعجل فيه حتى تستشيري أبيك .

قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها هاتين الآيتين . فقالت : أفيك أستشير أبي يا رسول الله ؟ بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة .

وفعل أزواج الرسول - صلى الله عليه وسلم - مثل ما فعلت عائشة . وهكذا نرى أن حرية الرأي كانت مكفولة للمرأة ، حتى في مناقشة رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

وأما حرية العمل للمرأة ، فشأنها في ذلك شأن الرجل ، إذ العمل حق مشروع لكل من الرجل والمرأة .

وصدق الله إذ يقول : « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنشى بعضاً لكم ... » سورة آل عمران : الآية ١٩٥ .  
وقال سبحانه : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنشى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ولنجزئنهم أجراً هم بحسن ما كانوا يعملون » سورة النحل : الآية ٩٧ .

وليس في شريعة الإسلام ما يمنع المرأة من أن تكون طبيبة ، أو مدرسة ، أو تاجرة ، أو في أي عمل شريف حلال ، تبغي من ورائه الرزق الحلال الذي يغينها عن سؤال الناس ، وتؤديه بعفاف واحتشام وستر لما أمر الله بسترها منها .  
لقد أباحت شريعة الإسلام للمرأة أن تضطلع بالوظائف العامة ، وبالأعمال المشروعة ، التي تحسن أداؤها ، ولا تتنافر مع طبيعتها كأنثى ، ولم تقيد هذا الحق إلا بما يحفظ لها كرامتها ، ويصونها عن التبذل ، وينأى بها عن كل ما يتعارض معخلق الكريمين ، والسلوك الحميم ، وقيامها بواجباتها المترتبة نحو أولادها وزوجها وبيتها ، لأن هذا هو الأصل في حياتها ..

والمتبر لاحوال المجتمع الإسلامي في العهد النبوى وفي عهود الصحابة ،  
يرى أن النساء كن يقمن بكثير من الأعمال داخل بيوتهن وخارجها .

فهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، بعد أن تزوجت بالزبير بن العوام - رضى الله عنه - تقول عن نفسها : « كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله ، وكنت أسوس فرسه ، وأعلفه .. وكنت أحرز الدلو ، وأسقى الماء ، وأحمل النوى على رأسى من أرض له على ثلثي فرسخ » .

وهذه عائشة وأم سليم - رضي الله عنها - كانا يخدمان المجاهدين في غزوة أحد . ففي الصحيحين عن أنس - رضي الله عنه - قال : رأيت عائشة بنت أبي بكر ، وأم سليم ، حين انهزم الناس يوم أحد ، وإنها المشمرتان ، ينفزان لأى يحملان - القرب على متونها ، تفرغانها في أفواه القوم .

وهذه أمية بنت قيس الغفارية ، أبلت بلاء حسنا في غزوة خيبر ، فقلدها الرسول بعد الغزوة قلادة تشبه الأوسمة العسكرية في عصرنا ، فكانت تزين بها صدرها ، طول حياتها ، وأوصت بدفنها معها بعد وفاتها .

وهكذا نرى أن الإسلام لم يمنع المرأة من أي عمل شريف ، يعود عليها وعلى أمتها بالخير .

## ﴿ المسئولية .. على قدم المساواة ! ﴾

من المبادىء والأسس التي قامت عليها شريعة الإسلام : معاملة الناس جميعاً على قدم المساواة فيما يتعلق بمسئوليتهم عنها يقولونه أو يعملونه ، لا فرق في ذلك بين رجل وامرأة ، أو غنى أو فقير ، أو عدو أو صديق ... فالعدالة الإسلامية لها ميزان واحد يطبق على الجميع بدون ظلم أو محاباة . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » **﴿ سورة النساء : الآية ١٣٥ ﴾**

وقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شأننّ قوم على أن لا تعدلوا ، إعدلوا هو أقرب للتقوى ... » **﴿ سورة المائدة : الآية ٨ ﴾**

ومن القواعد المقررة في شريعة الإسلام ، أن المرأة كالرجل في تحمل المسؤولية ، وفي الكرامة الإنسانية ، ومن الأدلة على ذلك ما يأتى : أنها يستويان في الثواب على الطاعة ، وفي العقاب على المعصية ... قال تعالى : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نثراً » **﴿ سورة النساء : الآية ١٣٤ ﴾**

وقال سبحانه : « يأنسَ النَّبِيُّ مِنْ يَأْتِي مَنْ كَنْ بِفَاحِشَةٍ يَضَعِفُهَا الْعَذَابُ ضَعْفَيْنَ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا . وَمَنْ يَقْتَنِي مَنْ كَنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نَوْتَهَا أَجْرَهَا مَرْتَيْنَ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا » **﴿ سورة الأحزاب : الآيات ٣٠ ، ٣١ ﴾**

وإذا كان سبحانه قد توعّد أمّهات المؤمنين بالعقاب على المعصية ، وبالثواب على الطاعة ، فأولى ثم أولى غيرهنّ منهن دوّنهن في المترفة . والمعنى : يأنس النبي من يأت منك بفاحشة ظاهرة القبح ، يضاعف الله سبحانه لها العذاب ضعفين ، لأنّ المعصية من رفيع الشأن ، تكون أشدّ قبحاً ، وأعظم جرماً ، وكان ذلك التضييف للعذاب لهن يسيراً وهبنا ، لأنّه سبحانه لا يصعب عليه شيء .

ومن يلزمه منكرون الطاعة - يا أمهات المؤمنين - ويحرص على مرضاه الله ورسوله ، وتعمل عملا صالحا ، نؤتها أجرها مضاعفا - أيضا - وهبنا لها رزقا كريما لا يعلم مقداره إلا الله تعالى .

وهكذا نرى أن الله - عز وجل - قد ميز أمهات المؤمنين فجعل حسنهن كحسنتين ، وسيتهن بمقدار سنتين لغيرهما - أيضا - وذلك لعظم مكانتهن ، ومشاهدتهن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما لم يشاهد غيرهن ، من سلوك كريم ، وتوجيه حكيم .

وقال عز وجل : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منها مائة جلدة ، ولا تأخذكم بها رأفة في دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين » « سورة النور : الآية ٢ » .

وقال سبحانه : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا ، نكالا من الله » أى : عقوبة رادعة من الله لها « والله عزيز حكيم » « المائدة : ٣٨ » .

وقال تعالى : « ليس بآمانكم ولا أمان أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجد له من دون الله ولها ولا نصيرا » « سورة النساء : الآية ١٢٣ » .

وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية روايات منها ما جاء عن قتادة أنه قال أذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا . فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، فنحن أولى منكم . وقال المسلمون : نحن أولى بالله منكم ، ونبينا خاتم النبيين ، وكتابنا مهمين وأمين على الكتب التي من قبله ، فأنزل الله هذه الآية .

أى : ليس ما تتمونه من ثواب ، حاصلا بمجرد التمني ، وإنما هذا الثواب يحصل بسبب الإيمان والعمل الصالح ، سواء أكان من ذكر أم من أثني كما أن العقاب يأتى بسبب ارتكاب السيئات سواء أصدرت من ذكر أم من أثني وقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتل ، الحر بالحر والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ... » « سورة البقرة : الآية ١٧٨ » .

والمقصود من الآية الكريمة : وجوب تنفيذ القصاص بالعدل والمساواة ، ونفي ما كان شائعا في الجاهلية من أن القبيلة القوية كانت إذا قُتِلَ منها عبد ، قتلت في مقابلها حرا ، وإذا قتلت منها أنثى ، قتلت في مقابلها ذكرا . . وليس المقصود أنه لا يقتل صنف بصنف آخر ، فقد أجمع الفقهاء على قتل الذكر بالأنثى ، وقتل الأنثى بالذكر ، عند اعتداء أحدهما على الآخر .

## ولها حق الجوار .. والأمان !!

والمرأة كالرجل في وجوب صيانة عرضها ، ووجوب عقوبة من يقذفها بالتهم الباطلة .

قال تعالى : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإنما مبينا » « سورة الأحزاب : الآية ٥٨ » .

أى : والذين يرتكبون في حق المؤمنين والمؤمنات ما يؤذيهم في أعراضهم أو في أنفسهم أو في غير ذلك مما يتعلق بهم ، دون أن يكون المؤمنون أو المؤمنات قد فعلوا ما يوجب أذاهم ، فقد ارتكبوا إنما شيئاً ، وفعلاً قبيحاً ، وذنباً ظاهراً بينا ، بسبب إيدائهم للمؤمنين والمؤمنات . وقال تعالى : « إن الذين يرمون المحسنات الغافلات المؤمنات ، لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم » « سورة النور : الآية ٢٣ » .

أى : إن الذين يرمون بالفاحشة النساء المحسنات المانعات أنفسهن من كل سوء وريبة ، الغافلات عن أن تدور الفاحشة بأذهانهن ، الكاملات في إيمانهن ، إن الذين يفعلون ذلك في حقهن : طردوا من رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ولهم عذاب عظيم لا يعلم مقداره أحد سوى الله تعالى .

وقال تعالى : « والذين يرمون المحسنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ، فاجلدوهم ثانية جلد ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون » « النور : ٤ » . أى : إن الذين يرمون النساء العفيقات بالفاحشة ، ثم لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون لهم على صحة ما قدفوهن به ، فاجلدوا - أيها الحكماء - هؤلاء القاذفين ثانية جلد ، عقاباً لهم على كذبهم ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً لفسقهم ، وخروجهم على أحكام شريعة الله تعالى .

فأنت ترى أن الله تعالى قد صان أعراض عباده من الرجال والنساء ، فعاقب القاذفين للمرحبيات بثلاث عقوبات .

أولها : حسية ، وتشمل جلد القاذفين ثانية جلد ، وهي عقوبة قريبة من عقوبة الزنا .

وثانيها : معنوية ، وتمثل في عدم قبول شهادة هؤلاء القاذفين أو القاذفات .

وثلاثها : دينية ، وتمثل في وصف الله تعالى هؤلاء القاذفين والقاذفات بالفسق والخروج عن طاعته .

وما عاقب الله تعالى هؤلاء القاذفين في أعراض المؤمنين والمؤمنات ، بتلك العقوبات الرادعة ، إلا لحماية الأعراض من السنة السوء ، وصيانتها من كل ما يخدر كرامتهم ، ويخرج عفافهم ..

وأقسى شيء على أصحاب العفاف - ولا سيما النساء - أن تلتصق بهن التهم الباطلة ، التي هن بريئات منها ، وغافلات عنها .

والمرأة كالرجل في تحمل مسئولية ما تكلف به من أعمال . وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كلكم راع ومسئول عن رعيته . الإمام راع ومسئول عن رعيته . والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته . والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها . والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته . فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

والمرأة كالرجل في تكريم الله تعالى لها ، وفي احترام حق جوارها . قال تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم وحلناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا » **سورة الإسراء : الآية ٧٠** . وغنى عن البيان أن المقصود ببني آدم الذين كرمهم الله تعالى : ما يشمل ذكورهم وإناثهم .. ولقد احترمت شريعة الإسلام قيمة المرأة ، وأعطتها حق الجوار والأمان كما أعطت ذلك للرجل ، فإذا أجرت أحدا أو أمته ، وجب على المسلمين ، أن ينفذوا جوارها ، وأن يحترموا وعدها . فقد ثبت في الحديث الصحيح ، أن أم هانئ بنت أبي طالب ، جاءت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة فقالت : إني أجرت رجلين من أحبابي - أي : من أقارب زوجي . فقال لها - صلى الله عليه وسلم - قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ . أي : قد قبلنا جوارك ، وأصبح منك الأمان في أمان - أيضا - منا . وهكذا نرى بوضوح أن شريعة الإسلام قد قررت مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في كثير من الأمور .

فهما متساويان في أنها من أصل واحد هو آدم وحواء .  
وهما متساويان في التكاليف الشرعية التي أوجبها سبحانه عليهم .  
وهما متساويان في طلب العلم ، وفي التزود بالمعرفة النافعة .

وهما متساويان في حق التملك ، والتصرف ، والتعبير ، والعمل .  
وهما متساويان في تحمل المسئولية وفي الكرامة الإنسانية .  
ولا فضل لأحدهما على الآخر إلا بالإيمان والعمل الصالح ، كما قال  
سبحانه : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .



## ❖ المساواة والتفرقة .. للمصلحة !! ❖

ولكن هل معنى هذه المساواة ، أنه لا توجد أية فوارق بين الرجل والمرأة ؟ الحق أن شريعة الإسلام قد فرقت بين المرأة والرجل في أمور معينة ، لأن العدالة ، والمصلحة ، وسعادة الجنسين ، وطبيعة كل منها تقتضي ذلك ، إذ ما بالذات لا يتغير ، والرجل رجل في خصائصه وتكونه ، والمرأة امرأة في خصائصها وتكونها ..

وقد أشار القرآن الكريم في مواطن متعددة ، إلى تلك الفوارق بين الرجل والمرأة ، ومن ذلك قوله تعالى : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضاكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، إن الله كان بكل شيء عليها » سورة النساء : الآية ٣٢ .

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية روایات منها : ما أخرجه الإمام أحمد والترمذى ، عن مجاهد قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله ، يغزو الرجال ولا نغزو ، ولنا نصف الميراث ، فأنزل الله هذه الآية .

وقال قتادة : كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان ، فلما ورثوا وجعل للذكر مثل حظ الانثيين ، تمنى النساء أن لو جعلت أنصباً هن كأنصباء الرجال . وقال الرجال : إنما لرجو أن نفضل على النساء بحسانتنا في الآخرة ، كما فضلنا عليهن في الميراث ، فنزلت هذه الآية .

والمعنى المنهى عنه هنا : هو الذي يتضمن معنى الطمع فيها في يد الغير ، والحسد له على ما آتاه الله من مال أو جاه أو غير ذلك مما يجري فيه التنافس بين الناس .. وذلك لأن التمنى بهذه الصورة يؤدى إلى شقاء النفس ، وفسادخلق والدين ، وأنه أشبه ما يكون بالاعتراض على قسمة الخالق العليم الخبير بأحوال خلقه ، ويشئون عباده .

أى : ولا تمنوا - أيها الرجال وأيتها النساء - ما فضل الله به بعضاكم على بعض في المال أو في غيره من شؤون الحياة ، لأن حكمة الله قد اقتضت أن يجعل لكل من فريق الرجال والنساء حظاً مقدراً بما اكتسبوه من أعمال ، ونصيباً معيناً فيها ورثوه أو أصابوه من أموال ..

وإذا كان الأمر كذلك ، فلا يليق بعاقل أن يتمنى خلاف ما قسم الله له من رزق ، بل عليه أن يرضى به ، فهو سبحانه الذي قسم الأرزاق والخصائص بين الرجال والنساء على حسب ما تقتضيه حكمته ، وهو الذي كلف كل فريق منهم بواجبات وأعمال تليق باستعداده وتكوينه .

وهذه نماذج لأمور فرقت فيها شريعة الإسلام بين الرجال والنساء : في مجال العبادات نجد شريعة الإسلام قد أسقطت عن المرأة الصلاة في حال حيضها ونفاسها ، ولم تكلفها بقضائها بعد طهرها رحمة بها ، ودفعاً للمشقة عنها . كذلك أوجبت عليها الفطر في رمضان في هاتين الحالتين ، على أن تقضي ما أفطرته بعد شهر رمضان .

ففي الصحيحين عن معاذة قالت سألت عائشة - رضي الله عنها - ما بال الحائض - والنفساء - تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ فقالت : كان يصيغنا ذلك مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضاء الصلاة . وأيضاً في حال حجها ، لم تكلف شريعة الإسلام المرأة بارتداء لباس الإحرام ، - الإزار والرداء - سترا لها ، وصيانته بحسبها عن كشف ما لا يصح كشفه منه .

وفي مجال الأعباء الاقتصادية ، تخففت شريعة الإسلام للمرأة جناح الرحمة ، وكفلت لها من أسباب الرزق ما يحميها من التبدل ، ويصونها من شرور الكدح في الحياة ، وألقت بمعظم هذه الأعباء الاقتصادية على كاهل الرجل . فالمرأة قبل زواجها ، أوجبت شريعة الإسلام نفقتها على أصولها أو فروعها ، أو أقربائهما ، مادامت لا تملك من المال ما يكفيها . أما في حالة زواجها : فنفقتها على زوجها ، حتى ولو كانت تملك من المال ما يغطيها عنه .

وقد فصلت كتب الفقه أحکام نفقة المرأة في جميع مراحل حياتها ، تفصيلاً دقيقاً حكيماً . وحتى في حال الطلاق ، فإن الزوج يتحمل جانباً كبيراً من أمواله لزوجته ، إذ عليه أن يدفع لها مؤخر الصداق ، وعليه نفقتها من مأكل ومشرب وملبس ومسكن مادامت في العدة ، وعليه نفقة أولاده وأجور حضانتهم وتربيتهم ..

وقد أمر القرآن الكريم بحسن معاملة النساء المطلقات ، ونهى عن الإساءة إليهن بأى لون من ألوان الإساءة ، ومن الآيات التي صرحت بذلك قوله تعالى : « أسكنوهن من حيث سكتتم من وجدكم ، ولا تضاروهن لتتضيقوا عليهم ،

وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فإن أرضعن لكم فاتوهن أجورهن ، وأتمروا بينكم بمعرفة فإن تعسرتم فسترضع له أخرى »  
« الطلاق : ٦ .

أى : أسكنوا النساء المطلقات في بعض البيوت التي تسكنونها ، والتي في وسعكم وطاقتكم إسكانهن فيها ، ولا تستعملوا معهن ما يؤذين لكي تضيقوا عليهن ما منحه الله لهن من حقوق ، وإن كن في حالة حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن هذا الحمل ، فإذا ما وضعن حملهن وأردتم أن يرضعن لكم أولادكم منهن ، فعليكم - أيضا - أن تعطوهن أجورهن على هذا الإرضاع ، وعليكم يا عشر الرجال والنساء أن تشاوروا فيما ينفع أولادكم ، فإن اختلفتم فابحثوا لأولادكم عن مرضعة أخرى ، حفاظا على حياتهم .

ومن كل ذلك نرى أن شريعة الإسلام قد رفعت عن كاهل المرأة كثيرا من الأعباء الاقتصادية في جميع مراحل حياتها ، وألقت بها على كاهل الرجل .

### **وتكون شهادتها .. هي الأصل !**

وفي مجال التراث جعلت شريعة الإسلام نصيب المرأة نصف نصيب الرجل .. قال تعالى : « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ، فإن كن نساء فوق اثنين فلهن ثلثا ما ترك ، وإن كانت واحدة فلها النصف ... » النساء : ١١ . ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية روایات منها : ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : عادني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مرض نزل بي - فوجدني لا أعقل شيئا ، فدعا بياء فتوضا منه ثم رش على منه فأفاقت . فقلت : يا رسول الله ، ما تأمرني أن أصنع في مالي ؟ فنزلت هذه الآية .

وآخر أبو داود والترمذى عن جابر - أيضا - قال : جاءت امرأة سعد بن الربيع بابتتها من سعد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ، هاتان ابنتا سعد بن الربيع ، قُتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا ، وإن عمها أخذ ما هما فلم يترك لها شيئا - لأن النساء قبل نزول هذه الآية لم يكن لهن نصيب من الميراث ، ولا تنكحان إلا وهما مال . فقال - صلى الله عليه وسلم - « يقضى الله في ذلك » فنزلت هذه الآية .

فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى عمها فقال له : أعط ابنتي سعد الثلين ، ولأمها الثمن ، وما بقي فهو لك .  
والمعنى : يعهد الله تعالى إليكم ويأمركم - أيها المؤمنون - أمراً مؤكداً ، في شأن ميراث أولادكم من بعد موتكم ، أن يكون نصيب الذكر منهم ، ضعف نصيب الأنثى .

وقد جعل سبحانه نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى بعد أن كانت لا ترث شيئاً قبل الإسلام ، لأن التكليفات المالية على المرأة ، تقل كثيراً عن التكليفات المالية على الذكر ، إذ الرجل مكلف بالنفقة على نفسه ، وعلى أولاده ، وعلى زوجته ، وعلى كل من يعولهم ، بينما المرأة - كما سبق أن بينا - نصبيتها من الميراث لها خاصة ، لا يشاركها فيه مشاركة ، اللهم إلا على سبيل التبرع والمساعدة لغيرها .

وبهذا يتبيّن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة ، ورعايتها لأمرها .  
وفي مجال الشهادة ، احترمت شريعة الإسلام شهادة المرأة في الشؤون النسوية الخاصة التي لا يعرفها إلا النساء ، واعتبرتها هي الأصل في رد الحقوق إلى أهلها . وفيها عدا ذلك من الأمور التي تقبل شهادتها فيها كالأموال ، جعلت شهادة المرأة معادلة لشهادة رجل واحد ، ولا تكون الشهادة كاملة الأركان إلا إذا شارك فيها الرجال .

قال تعالى في أطول آية في القرآن ، وهي الآية التي تسمى بآية « الدَّيْن » :  
« واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلاً فرجلاً وامرأةً فامرأةً من ترضون من الشهداء ، أن تضل أحدهما فتذكرة إحداهما الأخرى .. » البقرة : ٢٨٢  
أي : اطلبوا - أيها المسلمون - شاهدين عدلين من الرجال ، ليشهدوا على ما يجري بينكم من معاملات ، لأن هذا الإشهاد يعطي الديون توثيقاً وتنزيلاً . فإن لم يتيسر رجلان للشهادة ، فليشهد رجل وامرأة ، من ثقون بدينهما وخلقه ..

وقد جعلنا المرأة بدل رجل واحد في الشهادة ، خشية أن تنسى إحداهما ، فتذكرة كل واحدة منها الأخرى ، إذ المرأة لقوة عاطفتها ، وشدة انفعالها بالحوادث ، قد تتوهم شيئاً لم يحدث ، فكان من الحكمة أن يكون مع المرأة أخرى في الشهادة ، بحيث يتذكراً الحقيقة فيما بينهما . فقوله سبحانه : « أن

فضل أحدهما » - أي : تنسى أحدهما - « فتذكرة أحدهما الأخرى » بيان للحكمة في أن المرأة تقومان مقام الرجل الواحد في الشهادة ..

## فضل درجة .. يقابل فضل واجب

وفي مجال المسؤولية عن الأسرة : جعلت شريعة الإسلام حق القوامة والرياسة للرجل لا للمرأة ، لأنها هو المكلف بالإنفاق ، وهو الأقوى على تحمل هذه المسؤولية .. وهذه القوامة والرياسة للرجل في الأسرة ، تقوم على المودة والرحمة ، لا على الإستبداد والقسوة ..

وقد قرر القرآن هذه القوامة والرياسة للرجل في آيات منها قوله تعالى : « وهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهم درجة والله عزيز حكيم » البقرة : ٢٢٨ . أي : وللنساء على الرجال ، مثل ما للرجال على النساء ، فليؤد كل واحد منها ما يجب عليه نحو الآخر بالمعروف . والمراد بالمهابة - كما ، الألوسي - « المهابة في الوجوب لا في جنس الفعل ، فلا يجب عليه إذا ثيابه ، أو أعدت طعامه ، أن يفعل لها مثل ذلك ، ولكن يقابلها بما يليق الرجال » .

أي : أن الحقوق والواجبات بينهما متبادلة ، وأنهما متباينان في أن كل واحد منها عليه أن يؤدي نحو صاحبه ما يجب عليه ، حسبها تقره الطباع السليمة ، وتوجهه شريعة الله تعالى . ولذلك يفهم أحد أن المراد بالمثلية المساواة من كل الوجوه ، قال تعالى : « وللرجال عليهم درجة » .

والدرجة في الأصل : ما يرتقي عليه من سلم ونحوه . والمراد بها هنا : المزية والزيادة . أي : وللنساء على الرجال من الحقوق ، مثل ما للرجال عليهم ، إلا أن للرجال على النساء مزية وزيادة في الحق ، بسبب حياتهم هن ، وقيامهم بشئونهن ونفقتهن وغير ذلك من واجبات ومسؤوليات .

قال بعض العلماء : « وإذا كانت الأسرة لا تكون إلا من إزدواج هذين العنصرين - الرجل والمرأة - فلا بد من أن يشرف على تهذيب الأسرة ، ويقوم على تربية ناشتها ، وتوزيع الحقوق والواجبات فيها أحد العنصرين .

وقد نظر الإسلام إلى هذا الأمر نظرة عادلة ، فوجد أن الرجل أملك لزمام نفسه ، وأقدر على ضبط حسه ، ووجده الذي أقام البيت بماله ، وأن انهياره خراب عليه ، فجعل له الرياسة ..

هذه هي الدرجة التي جعلها الإسلام للرجل ، وهي درجة تجعل له حقوقا ، وتجعل عليه واجبات أكثر ، فهي موائمة كل المعايير لصدر الآية ، فإذا كان للرجل فضل درجة ، فعليه فضل واجب .

وقال سبحانه : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللائق تخافون نشوزهن فعظوهن ، واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلا ، إن الله كان علينا كبيرا » « سورة النساء : الآية ٣٤ ». قال القرطبي : نزلت هذه الآية في سعد بن الربيع ، نشرت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن خارجة ، فلطمها ، فقال أبوها : يا رسول الله زوجته كريمتى فلطمها . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لتقتص منه » ، فانصرفت مع أبيها لتقتص من زوجها ، فقال - عليه الصلاة والسلام - « إرجعوا هذا جبريل أتاف » .. وأنزل الله هذه الآية . وقوله تعالى : « قوامون » جمع قوام على وزن فعال ، للبالغة ، من القيام على الشيء وحفظه .

يقال : قام فلان على الشيء ، وهو قائم عليه ، وقائم عليه ، إذا كان يرعاه ويحفظه ويتولاه . ويقال : فلان قيم المرأة وقوامها ، للذى يقوم بأمرها ، ويهم بحفظها وإصلاحها ورعايتها شئونها .

أى : الرجال يقومون على شئون النساء بالحفظ والرعاية ، والتوفيق والتأديب ، وغير ذلك مما تقتضيه مصلحتهن . ثم ذكر سبحانه سببين لهذه القوامة :

أولهما : وهبى ، وقد بيّنه سبحانه بقوله : « بما فضل الله بعضهم على بعض » . أى : أن حكمة الله اقتضت أن يكون الرجال قوامين على النساء ، بسبب ما فضل الله به الرجال على النساء ، من قوة في الجسم ، ومن زيادة في العلم ، ومن قدرة على تحمل أعباء الحياة وتکاليفها ، وما يستتبع ذلك من دفاع عنهن إذا ما تعرضن للأخطار .

والمراد بالتفضيل هنا : تفضيل الجنس على الجنس ، لا تفضيل الأحاداد على الأحاداد ، فقد يوجد من النساء من هى أقوى عقلا وأكثر معرفة من بعض الرجال . وقال سبحانه : « بما فضل الله بعضهم على بعض » ولم يقل - مثلا - بما فضلهم الله عليهم ، للإشعار بأن الرجال من النساء والنساء من الرجال ، كما قال سبحانه في آية أخرى : « بعضكم من بعض » وللإشارة إلى أن هذا التفضيل هو لصالح الفريقين ، فعلى كل فريق منهم ، أن يتفرغ لأداء المهمة التي كلفه الله تعالى بها ، بإخلاص وطاعة ومحبة ، حتى يسعد الفريقان .

وأما السبب الثاني فهو كسبى ، وقد بيته سبحانه بقوله : « وما أنفقوا من أموالهم » . أي : أن الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء ، بسبب ما فضل به الرجال على النساء من علم وقدرة ، وبسبب ما ألزم به الرجال من إنفاق على النساء ، ومن تقديم المهر لمن عند الزواج ، ومن القيام برعايتها وصيانتها .

## الدواء .. الأخير

ثم شرع سبحانه في تفصيل أحوال النساء ، وفي بيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف أحوالهن ، فقسمهن إلى قسمين ، فقال في شأن القسم الأول : « فالصالحات قاتنات حافظات للغيب بما حفظ الله » .

أى : فالنساء الصالحات من صفاتهن أنهن « قاتنات » أى : مطاعات الله تعالى ولازواجهن عن طيب نفس واطمئنان قلب ، ومن صفاتهن كذلك ، أنهن يحفظن في غيبة أزواجهن ما يجب حفظه من عفاف ومال وغير ذلك مما تقتضيه الحياة الزوجية ، بسبب حفظ الله لهن ، وتوفيقهن للعمل الصالح . هذا هو القسم الأول من النساء ، أما القسم الثاني منهن ، فقد قال سبحانه في حقه : « واللاتي تخافون نشوزهن ، فعظوهن ، واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ... » . والمراد بقوله : « نشوزهن » أي : معصيتها وخروجهن عمما توجبه الحياة الزوجية من طاعة الزوجة لزوجها . يقال : نشرت المرأة نشوزا ، اذا عصت زوجها وامتنعت عليه .

وأصل النشوز مأخذ من النشر ، بمعنى الإرتفاع في وسط الأرض السهلة المنبسطة ، فتشبه المرأة المتعالية على زوجها بالمرتفع من الأرض . والمعنى : هذا هو شأن النساء الصالحات القاتنات الحافظات للغيب بسبب حفظ الله لهن ...

أما النساء اللات تخالفن عصيائهن لكم ، وترفعهن عن مطاوعتكم ، « فعظوهن » بالقول الذى يؤثر فى القلب ، ويوجهن نحو الخير والفضيلة ، بأن تذكروهن بحسن عاقبة الطاعة للزوج ، وسوء عاقبة النشوز والمعصية ، ويأن تسوقواهن من تعاليم الإسلام وأدابه وتوجيهاته ، ما من شأنه أن يشفى الصدور ، ويهدى النفوس إلى الخير . فإن لم ينفع معهن الوعظ فاهجروهن واتركوهن منفردات في مكان النوم ، فإن ذلك له أثره النفسي في نفوس الحرائر من النساء ، فإن لم ينفع معهن الوعظ والهجر ، فاضربوهن ضربا غير شديد ولا مشين ، بحيث لا يكسر عظامها ، ولا يشوه جارحة .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في حجة الوداع : « واتقوا الله في النساء ، فإنهن عوان عندكم - أي : أسيرات عندكم - ولهم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح - أي : غير شديد . وأخرج أبو داود في سنته عن معاوية بن حيدر القشيري ، أنه قال : يا رسول الله ، ما حق زوجة أحدهنا عليه ؟ قال : أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبع ، ولا تهجر إلا في البيت - أي : في مكان النوم - .

وجمهور العلماء على أن من الواجب على الزوج ، أن يسلك في معالجته لزوجته تلك الأنواع الثلاثة على الترتيب .. بأن يبدأ بالوعظ ، ثم بالهجر ، ثم بالضرب ، لأن الله تعالى قد أمر بذلك ، ولأنه تعالى قد رتب هذه العقوبات بتلك الطريقة الحكيمة التي تبدأ بالعقوبة الخفيفة ، ثم تدرج إلى العقوبة الشديدة ، ثم الأكثر شدة .

ثم بين سبحانه ما يجب على الرجال نحو النساء إذا ما أطعنهم وتركن النشوز والعصيان فقال : « فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلا ، إن الله كان عليا كبيرا ». .

أي : فإن رجعن عن المعصية إلى الطاعة ، وانقدن لما أوجب الله عليهم نحوكم - أيها الرجال - فاحذروا التعذيب عليهم بأى نوع من أنواع التعذيب والظلم ، لأن قدرة الله تعالى عليكم ، أعظم من قدرتكم على أزواجكن ، وسيعاقبكم بالعقوبة الرادعة إذا ما تجاوزتم حدود الحق معهن . فأنت ترى أن

الآية الكريمة قد بيّنت مراحل التأديب والتهذيب ببيان حكمها جامعاً . فالنساء أمام قوامة الرجال عليهن ، منهن الصالحات القانتات العفيفات ، ومنهن المترفعات التعاليات العاصيات لأزواجهن ... ومعالجة هؤلاء يكون بالتصح أولاً ، فإن لم ينفع كان الهجر ، فإن لم ينفع كان الضرب الذي لا يكسر عظامها ولا يشوه وجهها ، وهو أي - الضرب - الدواء الأخير الذي لا يلتجأ إليه إلا عند الضرورة .

هذه أمثلة لأمور فرقت شريعة الإسلام فيها بين الرجال والنساء ، لأن العدالة والحكمة والمصلحة تقتضي ذلك ، فسبحانه هذه شريعته ، وتلك حكمته .



## في ضوء السنة النبوية

- قبل .. الاسلام !!
- الأسرة .. دعامة المجتمع ..
- الزواج بين التحليل .. والتحريم
- البيت الزوجي .. له أسرار !!
- دروس .. من حياة أمهات المؤمنين

يكتب هذا الفصل

د. أحمد عمر هاشم

## قبل .. الإسلام

لم تكن للمرأة مكانة تذكر قبل الإسلام ، بل كانت كما مهملة ، لا ينظر إليها إلا لتدبير عمل منزلى أو لدوام النسل البشري ، بل كانت عند بعض الطوائف فى مرتبة الخادم ، بل إن البعض نظر إليها كالسلعة تباع وتشترى . وما كانت بعض الطوائف تورث المرأة إلا إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين ، وكانوا قبل الإسلام ، وعند الرومان يعتبرون المرأة متاعا يملكه الرجل ، وسلعة له الحق في التصرف فيها كما يريد ، ويملك من أمرها كل شيء ، حتى حق الحياة . وكانت بعض قبائل العرب تعتبر ميلاد البنت ، جالبا للحزن والخزي والعار .

وكان ول المرأة في الجاهلية يأخذ مهرها ولا يعطيها منه شيئا .  
وما إن جاء الإسلام ، وأشرقت تعاليمه العادلة السمححة ، على يدي نبى الرحمة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا وجاء بكتاب مبين هو الفصل ليس بالهزل .

فأقى على هذه العادات الباطلة ، والضلالات الجاهلة من القواعد ، وهدم التقاليد الظالمة ، فنفعى على أولئك الذين يخزنون بميلاد المرأة أو يحاولون وأدها وقتلها وهي حية ، ونهامهم عن ذلك .. قال الله تعالى : « وإذا يُشر أهدهم بالأننى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما يُبشر به أيسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون » . وقال جل شأنه : « وإذا الموعودة سئت بأى ذنب قتلت » .

ولقد جاء الإسلام فأعطى المرأة حقها في الحياة وجعل العدوان عليها عدواً على نفس بغير حق فحرم وأدها أو قتلها كما حرم امتهان كرامتها ، وجعلها إنسانا فاعلا في المجتمع لها كرامتها ومكانتها ، ولها أهميتها ورسالتها في الحياة .  
أعطى الإسلام المرأة حقها في الحياة وحقها في الميراث وفي المهر وفي النفقة وفي المسكن والمطعم وأعطها سائر الحقوق كحق التعليم ، وحق التملك وحق البيع والشراء والعمل بضوابط تحفظ لها كرامتها وعفافها دون امتهان أو شطط .  
وفي رحاب الإسلام عاشت المرأة حياة كريمة محترمة فهي الأم والزوجة والبنت والأخت ، والعمدة والخالة والجدة ..

وقد فصلت السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام حقوق المرأة وواجباتها ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : « .. ألا إن لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن ألا يوطئن فُرُشَكُم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهم وطعامهن » .

وعن معاوية بن حيَّدة - رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله « ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : أن تطعمها ! إذا طعِمتْ وتكسوها إذا اكتسيتْ ، ولا تضرب الوجه ، ولا تُقْبَح ولا تهجر إلا في البيت » .

وقررت السنة النبوية حق المرأة في التعلم بل جعل التعلم فريضة فقال صلوات الله وسلامه عليه : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، والمراد بالمسلم : الرجل والمرأة ؛ ولذا كانت أمهات المؤمنين مرجعاً في العلم وآيات الله والحكمة .

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها : « نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياة أن يتفقهن في الدين » .

وقد وضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن أفضل النفقة ، ما ينفقه الإنسان على أهله ، زوجه وأبنائه .. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدق به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم » وإذا كان الإسلام قد شرع للمرأة هذه الحقوق ، وأعطتها مكانة عظيمة ، فإنه أمر الزوجة بطاعة زوجها .

ومن الوصايا الحكيمية للمرأة ، وصية أمامة بنت الحارث التي وصت بها ابنتها في ليلة عرسها حيث قالت : « أى بنتية ؟ إنه لو استغنت المرأة بمعنى أبوها وشلة حاجتها إليها لكونت أغنى الناس عن الزوج ولكن للرجال خلق النساء ، كما هن خلق الرجال » .

**«أى بنتية»** إنك قد فارقت الحياة الذى منه درجت إلى وكر لم تعرفيه ، وقرير لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك ملكا - بكسر اللام - فكون له أمة يكن لك عبدا ، واحفظنى عنى خلالا عشرة تكون لك دركا وذكرا .  
**«فاما الأولى والثانية»** : فالمعاشرة له بالقناعة وحسن السمع والطاعة فإن القناعة راحة القلب وحسن السمع والطاعة رأفة الرب .

« وأما الثالثة والرابعة » : فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشم أنفه منك إلا طيب الريح ، واعلمى أى بنية أن الماء أطيب الطيب المفقود ، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود .

« وأما الخامسة والسادسة » : فالتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهمة ، وتنفيص النومة مغضبة .

« وأما السابعة والثامنة » : فالاحتفاظ بماله والرعاية على حشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير ، والرعاية على الحشم والعیال من حسن التدبير .

« وأما التاسعة والعشرة » : فلا تفشي له سرا ، ولا تعصي له أمرا ، فإنك إن أنشيت سره لم تأمني غدره ، وإن عصيت أمره أو غرت صدره . واتقى الفرح لديه إن كان ترحا ، والإكتئاب عنده إذا كان فرحا ، فإن الأولى من التقصير ، والثانية من التكذير .

« وأعلمك أنك لن تصل إلى ذلك منه حتى تؤثرى هواء على هواك ورضاه على رضاك ، فيما أحبت وكرهت ». .

## والعلم .. من الحقوق الأساسية

لقد أعطى الإسلام المرأة حقوقاً كثيرة بعد أن كانت مهضومة الحق في الجاهلية . لقد منحها الإسلام حقها في الميراث وحقها في التملك وحقها في الصداق . وجعلت أهليتها في التعاقد وفي إجراء العقود من بيع أو شراء أو رهن أو هبة أو وصية .. كما سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في شئون المسئولية والجزاء .. والثواب والعقاب . بمعنى أن المرأة التي تعمل صالحة وهي مؤمنة لها زواوها في الدنيا وفي الآخرة كما قال الله جل شأنه : من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزىءنهم أجراً لهم بأحسن ما كانوا يعملون ॥

ويقول سبحانه : « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » ..  
وسوى الإسلام بينها في المحدود وفيسائر أنواع الجزاء والعقوبات ففي حد الزنا  
وتطبيقه على الرجال والنساء . يقول الله تعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا كل  
واحد منها مائة جلدة » . وفي حد السرقة : يأمر الإسلام بتطبيق قطع اليد  
للسارق رجلاً كان أو امرأة . « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا  
نكايا من الله » .

وكما سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في ذلك فإنه أعطى المرأة حق التعلم  
والثقافة وأباح لها أن تتعلم العلم والأدب بل إنه يوجب عليها ما يتصل بأمور  
الدين . لتفق على معرفة الأحكام وتحسن القيام بالعبادات وسائر الوظائف في  
هذه الحياة . وقد جاء في الحديث . « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .  
 وكلمة مسلم تشمل الرجل والمرأة كما يقول العلامة . . . ويقول أبو قلابه : « أى  
رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال صغار يغفهم الله أو ينفعهم الله به  
ويغبنهم . وفي هذا ما يشير إلى أهمية أعداد الأبناء بما ينفعهم ذكوراً كانوا أم إناثاً  
ولم يفرق الإسلام فيما منحه من حق « التعلم » للمرأة المسلمة بين أن تكون حرة  
أو أمة . بل أن توجيهات الإسلام فيما يتصل بشأن الأمة كانت أكيدة . عن أبي  
بردة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إيمان رجل كانت عنده وليدة  
- أى جارية - فعلمتها فأحسن تعليمها وأدتها فأحسن تأدتها . ثم اعتقها وتزوجها  
فله أجران » .

وبهذا رغب الإسلام في تعليم المرأة وحث عليه ووضع ماله من أثير هام ومثوية  
كريمه .

وأن العلم من الحقوق الأساسية التي لا غنى للحياة عنها بحال من الأحوال  
فإن شئون المجتمعات الإنسانية لا تنهض على المأكل والمشرب والملبس والمسكن  
فحسب ، فتلك حقوق مادية ، أما تلك الحقوق المعنوية والروحية . فلها أهميتها  
في تسخير الحياة وتنظيم تلك الحقوق المادية الأخرى . ولا يتأق ذلك إلا بتنقيف  
القلب والروح وتهذيب العقل وتعليمه ولقد طبق رسول الله - صلى الله عليه  
 وسلم - مبدأ تعليم المرأة وتنقيفها بما كان يصنعه مع المسلمات من تخصيص يوم  
 لهن يجلسن لهن فيه ومن تعليم أمهات المؤمنين .

روى البلاذري في «فتح البلدان» أن الشفاء العدوية وهي سيدة من بنى عدى رهط عمر بن الخطاب كانت كاتبة في الجاهلية . وكانت تعلم الفتيات . وأن حفصة بنت عمر أخذت عنها القراءة والكتابة قبل زواجها بالرسول عليه الصلاة والسلام . ولما تزوجها عليه الصلاة والسلام طلب إلى الشفاء العدوية أن تتبع ثقيفها ، وأن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصول الكتابة . والعديد من الشواهد يدل على تعلم النساء وظهورهن في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة منذ عصر بنى أمية .

وذكر ابن خلكان أن السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن علي بن أبي طالب كان لها بصر مجلس علم حضره الإمام الشافعى نفسه ، وسمع عليها فيه الحديث .

وروى ابن المقرى في كتابه «فتح الطيب» أنه كان لابن المطرف اللغوى جارية أخذت عن مولاها النحو واللغة ، ولكنها فاقته في ذلك وبرعت على الأخص في العروض حتى سميت «بالعروضية» . وأنها كانت تحفظ عن ظهر قلب كتابي «الكامل» للمبرد و«الأمالى» لابن على القالى .

وإذا تقرر في الإسلام للمرأة هذا الحق فإنه ينبغي أن ينظر إلى قضية تعليم المرأة نظرة عادلة ومشمرة بحيث لا يطغى تعلمها وحقها فيه . وما أتاحه الإسلام لها لا يطغى هذا على دورها كزوجة وعلى دورها كأم فهذا هو دورها الأصيل وبين الأمومة والزوجية تكون رسالة المرأة في الحياة وما تعليمها الذي منحه الإسلام لها حق إلا مكملاً وهادياً لدورها ورسالتها .

ومن ناحية أخرى لا يكون قيام واجب على حساب آخر من واجبات الأمومة والزوجية ..

وهكذا كان النساء في صدر الإسلام فهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق تقول : « كنت أخدم الزبير « زوجها » خدمة البيت كله وكانت أسوس فرسه وأعلفه واحتشر له ... وكانت أخرز الدلو وأسقى الماء وأحمل النوى على رأسى من أرض له على ثلثي فرسخ » .

وفي الحديث : « ... والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها » .

وإذا كان الإسلام قد منح المرأة تلك الحقوق السابقة فإنه قد أكد واجبها كزوجة وواجبها كأم وسائل ما يجب أن تقوم به من تربية أبنائهما . كما ينبغي أن

تبه إلى حكمة الإسلام العالية في التفريق بين المرأة والرجل في بعض الأمور والحقوق وأن ذلك من صميم العدالة الإلهية اتساقاً مع طبيعة كل من الجنسين وخصائصه وتكوينه . ودوره في الحياة وذلك كحقها في الميراث على النصف من نصيب الرجل وغير ذلك مما فررته الشريعة الإسلامية .

## نموذج .. من جهادها

لقد قامت المرأة المسلمة في ميادين الجهاد بما شرعه الإسلام لها من القيام ببعض الأعمال الهامة التي لا تقل أثراً عن نتيجة القتال في سبيل الله . كانت المرأة المسلمة تسقى الماء وتداوي الجرحى وتناول السهام وتثير الحمية وتقوم بخدمة الجرحى وتربيتهم .

وهذا نموذج من نماذج جهادها يقول أنس بن مالك لما كان يوم أحد .. انهزم الناس من الناس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو طلحة بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم - محبوب عليه « أى يقيه سلاح الكفار » بما معه من ترس بحجفة « وهي الترس » وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديداً للتزع وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثة .. قال فكان الرجل يبر معه الجعبة من النبل وهي الكنانة التي تجعل فيها السهام فيقول إنثرها لأبي طلحة قال : ويشرف النبي الله - صلى الله عليه وسلم ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة : يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف لا يصيبك سهم من سهام القوم نحرى دون نحرك .

قال : لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وانهما لشمرتان . تنقلان القرب على متونها ثم تفرغانه في أفواههم ، ثم ترجعان فتملاًنها ثم تخستان تفرغانه في أفواه القوم ، ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثة من النعاس .

فلم يحرم الإسلام النساء من كرامة الجهاد ومثوابه ولم يمنعهن أن يشاركن بسقى الماء وتمداوة الجرحى .

وهناك جهاد بالمال لإعداد العدة وتجهيز الجيوش وهناك جهاد باللسان لإثارة الحمية ودفع الشبه ورد الإشاعات والدعوة إلى الجهاد وهذه الأنواع يؤدي كل من الرجل والمرأة فيها الرسالة الالائقة بحاله ويقوم حيالها بما يつかه من عمل .

أما الجهاد بالسلاح والاشتراك في ضرب العدو في الميدان فهذا لا يتفق مع طبيعة المرأة وتكوينها ولذا لم يفرضه الإسلام عليها .  
ولئن شاركت بعض النساء في الجهاد فهذا تطوع منها وليس مفروضاً كما هو الحال بالنسبة للرجال حيث فرض عليهم .  
أما ما يمكن للمرأة أن تقوم به في الجهاد فهو إحياء الحمية والقيام بالتمريض وسقى الماء وكثير من المهام التي يحتاج إليها الجيش فتوفر على الجيش قيام بعض الرجال بهذا العمل ليؤدي الرجال مهمة القتال على أكمل وجه .  
وواضح أن هذا الاشتراك من المرأة حيث يكون الأمر في حاجة إليها وبشرط عدم الإختلاط والفتنة ..



## ﴿الأسرة دعامة المجتمع﴾

إن إقامة المجتمع الفاضل القوى . لا تكون من السطح الخارجي . دون إرساء دعائم البناء وإقامة الأساس الذي يُبني عليه المجتمع . والأسرة هي دعامة المجتمع وهي الخلية الأولى الحية التي يتكون منها أفراده وتتلاقى فيها خلاياه ، والأسرة القائمة على أساس سليمة الصادرة من قيم فاضلة القائمة برسالتها خير قيام .

هي تلك الأسرة التي يرى الأب فيها أنه راعي البيت والقائم على أمره فيه . وترى الأم أنها مسؤولة عن إدارة شئون البيت والأبناء ، وعن غرس الفضائل الحميدة في نفوس أبنائها وتربيتهم التربية السليمة وتنشتهم النشأة المستقيمة . ويرى الأبناء فيها ما ينبغي عليهم من القيام بواجباتهم والنهوض بالحياة سيرا على الجادة وطموماً للمستقبل الزاهر والحياة السعيدة المقبلة عليهم وهم في أمن نفسي ، واستقرار أسرى وهدى من الإسلام يؤمنون به ويسعدون بتعاليمه . إننا حين نرى خلايا المجتمع مكونة بهذه المثابة وأن وحداته هي تلك الأسرة ومثيلاتها من الأسر .. وهكذا ، فهو بلاشك مجتمع فاضل قوى له كرامته ومهابته .

ولما كان للأسرة - في الإسلام - هذه الأهمية ، وكانت النظرة الحقيقية إليها على أنها أساس المجتمع فقد عنى الإسلام عناية خاصة بشئون الأسرة وبكل ما يتعلق بها من مبادئ تهض على هداها كما عنى بما يتصل بها من حقوق وواجبات ، وبما لها وما عليها .

ومن المعلوم أن السنة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلة والسلام مبينة للقرآن الكريم ومفصلة لمجمله وموضحة لمبهمه وأن ما أجمله القرآن فصلته السنة من أحكام العبادات وغيرها فقد ذكرت في القرآن الكريم على طريق الإجمال . فوضّحها وفصلها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بقوله وفعله . أما فيما يتصل بشأن الأسرة وما يتعلق بها من حقوق وواجبات وما يتصل بها من أحكام . فقد ذكرها الله سبحانه وتعالى مفصّلة في القرآن الكريم ، من اللهم الأولى التي يبدأ فيها التفكير في الزواج قال الله تعالى : « ولا ج

عليكم فيها عرضتم به من خطبة النساء أو أكتسم في أنفسكم علم الله إنكم ستدركونهن ولكن لا تواعدوهن سرا .. إلا أن تقولوا قولًا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله وأعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه وأعلموا أن الله غفور حليم » .

فعني الإسلام بتوضيح كل ذلك في القرآن من أول لحظة تكوين الزواج وإن شائه إلى أن يتفرق كل منها بالموت أو بالطلاق وما يتصل بكل الأحوال من أحكام ، وليس كثيراً ما وضحته السنة وببيته بالنسبة لما ورد في القرآن الكريم من تفصيل أحكام الأسرة . وكان هذا من حكمة الله سبحانه وتعالى عنابة بشأن الأسرة لأهميتها في الحياة ولأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمع وحتى لا تكون أحكامها بعد ذلك عرضة للأهواء والانحراف بها <sup>بُشّرَةً</sup> أو يسراً ومحاولة التقصير في حق من الحقوق أو الإهمال في واجب من الواجبات .

يقول الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله وإن كانت عنابة الإسلام بالعبادات جعلت أحكامها عملية يتولى النبي - صل الله عليه وسلم - تفصيلها لتربي النفوس عليها بالدرية والتهذيب لا بمجرد التقلين ، فعنابة الإسلام بالأسرة كانت بالنص الكامل على نظامها ، لكيلا ينصرف الناس بأهوائهم عنها ولكيلا ينكروا تطبيقها و يجعلوا لعقوبهم سبيلاً للتحكم في أحوالها ونظامها ولأنها متصلة بالرضا والغضب بين الزوجين والأقارب فكان لابد من ميزان مقرر ثابت يحكم الأهواء ويضع الأمور في مواضعها ». وهكذا تتضح لنا عنابة الإسلام بحقوق الأسرة وواجباتها وبكل ماهما وما عليها .

### لها طابعها الخاص .. وشخصيتها المستقلة

وللأسرة المسلمة طابعها الخاص الذي تميز به عن غيرها ولها سلوكها الذي ينبيء عن تمسكها بدينها وتطبيقاتها لأوامره وسيرها على هداه . وتتضح ملامح شخصيتها المستقلة من سلوكها ومن آدابها وأخلاقها التي تتخلق بها ، فهي متجملة بالعفة والوقار والخشمة والخلق ومستقيمة على طريق العقيدة الصحيحة التي تؤمن بها ، وهي بشخصيتها المتميزة لا تحيى تابعة لغيرها ولا ظلا لسوتها من الأسر الأخرى شرقية كانت أو غربية .. إنها لا تقلد غيرها تقليداً أعمى ولكنها تهاج الحق في بنائها وفي سلوكها .

ومن آداب الأسرة المسلمة أنها تربى أفرادها تربية إسلامية صحيحة وتعمل الأسرة - أباً وأما - جاهدين مع الأبناء على إقامة شعائر الإسلام وتطبيق آدابه وأخلاقه ، متعودين جميعاً على فعل الخير والتسابق إلى صنائع المعروف . ويقوم الآباء في الأسر المسلمة بتربية الأبناء تربية سليمة بعيدة عن الكذب والخيانة بعيدة عن التقليد الوافدة التي تتنافى مع منهج الدين وآدابه ، وأخلاقه . وإذا كان على الوالدين بالنسبة للأبناء تلك الحقوق التي تمثل في حسن تربيتهم وتنشئتهم وحسن مراعاتهم ، وتوفير كل أسباب الراحة والتكون لهم ، فإن على الأبناء حقوقاً كذلك بالنسبة للوالدين وهذه الحقوق تمثل في البر بهما والإحسان إليهما وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الوالدين بعد الأمر بعبادته سبحانه إذ يقول : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً » .

وللأسرة علاقات كثيرة بغيرها من الأسر الأخرى ، وأولى هذه العلاقات علاقة أسرق الزوجين فليس الزوج علاقة رجل بأمرأة فحسب ، ولكنه إلى جوار ذلك علاقة وثيقة بين الأسرتين . وقد أعطى الإسلام ول المرأة حقوقه المشروعة حفاظاً على المرأة وحفظاً على الأسرة .

فما قرره الإسلام من الولاية المستقيمة الجادة والإشراف على المرأة وتوجيهها واختيار الحياة الفاضلة لها كل هذا يتمثل في الرعاية الحكيمية الرحيمة التي تتحقق بها مصلحة المرأة ومصلحة الأسرة .

وقال الحافظ ابن كثير عند الكلام على قول الله سبحانه وتعالى « الرجال قوامون على النساء » قال يعني أمراء عليهن أي تعبيعه فيها أمرها الله به من طاعته ، وطاعته أن تكون حسنة وطاعته أن تكون حسنة لأهله حافظة ماله ... وكذا قال مقاتل والسدي والضحاك .

ومن هنا تتضح لنا نظرة السلف العميقة في علاقة الأسرتين أن على المرأة أن تكون حسنة لأهل زوجها حتى تظل رابطة المعاشرة نقية صافية تشرق بالود والحب والتعاون وهذا أمر له أهميته الكبيرة وله صدأه على علاقة الزوج بأمرأته ، ويهدى هذه الرابطة من الزوجة أو من الأسرة الصغيرة تقوى رابطة الأسرتين بينهم جميعاً .

ولا تقتصر علاقة الأسرة بغيرها على الأسرة التي ترتبط بها برباط الزواج والمصاهرة وإنما هناك علاقات أخرى شرعها الإسلام وأحاطتها بسياج منيع من تعاليمه المحكمة السديدة . فهناك علاقة الأسرة بغير أنها وهي علاقة يبيحها الإسلام في الحدود المشروعة . ولقد دعا الإسلام النساء المسلمات إلى قبول ما يقدم إليهن منها كان قليلاً وحث على التهادى فقال صل الله عليه وسلم « يا نساء المسلمين لا تخقرن جارة بخارتها ولو فرسن شاة » . ومعناه عظم قليل اللحم وهذا فيه زيادة تأكيد على الروابط الأسرية بين الأسرتين .

وقد روى عن رسول الله - صل الله عليه وسلم - أن رجلاً قال له : يا رسول الله : أن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقها ، غير أنها تؤذى غيرها فقال : هي في النار .

ثم قال : يا رسول الله فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها وأنها تتصدق بالأثار من الأقطع - أى قطع الجبن - ولا تؤذى غيرها ؟ قال : هي في الجنة .

## الأسرة تتسع .. وتمتد

استهدف الإسلام لبناء الأسرة قوّةً وإتساعاً لأنها المجتمع الصغير بل الأمة الصغيرة فيما كان المجتمع إلا مجموعة من الأسر ، وما كانت الأمة إلا مجموعة من المجتمعات . فالعناية بالأسرة عنابة بالمجتمع وعنابة بالأمة بأسرها إذ أن الأسرة هي اللبنة الأولى والأساس الأصيل في بناء الأفراد والجماعات والأمم والشعوب وفي اتساع الأسرة تقوية لها ، ودعم للمجتمع والأمة فهي بمثابة الرافد القوي للحياة الإنسانية .

وتقوى الأسرة ويشتد أزرها بتقوية روابطها وثبات أصواتها . وكلما إتسعت الأسرة وكثير أعضاؤها كانت أكثر قوّةً ، وأعظم نفعاً وإذا ألقينا نظرة إلى ما شرعيه الإسلام من وسائل تكوين الأسرة لرأينا إنه يدعو إلى اتساعها وانتشارها وزيادة أعدادها عن طريق النسب والمصاهرة .

قال الله تعالى : « وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربكم قديراً » .

ومن المحرمات التي ذكرها الله تعالى : يتضح سبب قوى من أسباب اتساع الأسرة ، هذا بالإضافة إلى ما تشتمل عليه مقاصد التحريم من حكم أخرى

كالوقاية من الشحناء والخصومات لأصحاب القرابة القريبة جداً ، فصلتهم بالأسرة موجودة وهم ليسوا في حاجة إلى ربط بينها .

نعم قد لا تكون القرابة قريبة جداً أو قد توشك على الانفصال فتحتتحقق بالزواج نسب قرب ومودة كأبناء العم وأبناء الخال . أما من كانوا أقرب منهم فصلتهم قوية وهذا ولغيره من الأسباب الأخرى كانت المحرمات المذكورة في قول الله تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبيكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحللتم أبنائكم الذين من أصلابكم وإن تجمعوا بين الأخرين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً » .

ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله : « وتحتتحقق سعة الأسرة وامتدادها ووئامها بنظامين من النظم التي شرعها لها الإسلام وهو نظام المحارم في الزواج ونظام الميراث » .

فالإسلام يحرم الزواج بالأقربين : ولا يبيح من ذوى القرابة إلا من أشكوا أن يكونوا غرباء فالزواج يجمع منهم في الأسرة من أشكوا أن يتفرقوا كأبناء العمومة والخ Olympia .

ثم يقول : « والمقاصد من هذا التحريم متنوعة لا نحصرها في هذا المقام أجلها وأجدادها توسيعة الأسرة وواقتيتها من شواجر الخصومة والبغضاء وأن يتحقق بالزواج من أسباب المودة والنسب ما لم يتحقق بالقرابة فيرجع إلى الأسرة من أشكوا أن ينفصل عنها ويحرم الزواج بذوى القرابة الحميمة التي لا حاجة بها إلى توثيق النسب والمصاهرة » .

وتؤكدأ لطلب اتساع الأسرة وكثرة أعدادها وزيادة قوتها رغب الإسلام في اختيار الولود الودود لأنها التي يمكن أن يحصل بها مقاصد الزواج ويمكن معرفة ذلك بالنسبة للبكر بمعرفة أقاربها .

وقد خطب رجل امرأة عقيماً فقال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن خطبتك امرأة ذات حسب وجاه وإنها لا تلد فنهاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : « تزوجوا الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيمة » .

وقد أنكر الإسلام أى تصرف . فيه تضييق لإبعاد الأسرة كالعزوف عن الزواج مثلا ، حتى ولو كان انصرافا للعبادة لأن مثل هذا التصرف يتنافي مع روح الحنيفة السمحاء ، ولأن في الزواج إعفافا للنفس وتكثيرا للنسل وتحقيقا لحكمة الله تعالى فيه .

وعن أنس أن نفرا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - سألا أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - عن عمله في السر : فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا أكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش ، . فحمد الله وأثنى عليه فقال : « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكتني أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

ولقد عالج الإسلام كل ما يتصل بتكون الأسرة من ظواهر إذ على ضؤئها يهتدى الرجل إلى اختيار شريكة حياته وربة بيته ، وبين الإسلام أن للخاطب أن ينظر إلى من يريد خطبتها ولم يبح له أكثر من هذا ، وأما ما يحدث الآن في بعض المجتمعات ومن تهاون بعض الأسر في إباحة اختلاط الخطيب بخطيبته والخلوة بها فحرام لأن المرأة محمرة عليه قبل العقد . وقد نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن المغالاة في المهر قال - صلى الله عليه وسلم - « خير النساء أحسنهن وجوها ، وأرخصهن مهورا » . والمغالاة في المهر معمول هدام يقضى على رغبات الكثير من أهل العفة الراغبين في الزواج وهو في نفس الوقت دعوى باطلة ، تساعد على ضياع قسط كبير من أعمار الشباب دون تحقيق سنة الإسلام بالزواج ، بل قد تكون سببا من أسباب انتشار الرذيلة والفوبي الأخلاقية ، التي تهدد المجتمع بالتصدع والإنهيار ولا مبرر لها إلا تفاخر بعض الأسر في تكوين الأثاث وأغلى الرياش مباهة وظهورا وقد يدعو الأمر إلى أن تستدين بعض الأسر الفقيرة . وليس معنى هذا أن الإسلام يدعو إلى نقص حق المرأة في الصداق أو تحريم كثرة المهر؟ لا ، فإن الإسلام إنما يكره تلك المغالاة التي حادت عن الجادة .

أخرج عبد الرزاق من طريق عبد الرحمن السلمي قال عمر : لا تغالوا في مهور النساء فقالت امرأة : ليس ذلك لك يا عمر ، إن الله يقول : « وآتيم احدهن قنطارا » من ذهب قال وكذلك هي قراءة ابن مسعود فقال عمر امرأة خاصمت عمر فخصمته .

وأخرجه الزبير بن بكار من وجه آخر فقال عمر امرأة أصابت ورجل أخطأ . ولقد دعا الإسلام إلى الزواج وحث عليه ورغب فيه كل من كان مستطينا قادرا عليه ، وفي الزواج عصمة للشباب من الزلل والخطيئة ، ثم هو إلى جانب هذا فيه المودة والسكن والرحمة والسعادة والطمأنينة للأسرة والأمان والاستقرار للبيت الزوجي .

ولقد أرشد الله تعالى العاجزين عن مؤن النكاح إلى العفة ووعدهم بعد ذلك إن عفوا أنفسهم أن يغනيمهم من فضله ، لأن فضله أولى بأهل العفة الصالحين قال الله تعالى : « ولیستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغناهم الله من فضله » .

وأما إذا لم يستطع الشاب الزواج وعجز عن مؤن النكاح فعليه بالصوم فهو أهم وسائل الاستعفاف لأنه يكسر الشهوة ويكتف عن انتهاء الحرمات ، وبالصيام يتعود الإنسان على الفضائل والبعد عن الرذائل .

وما تجدر الإشارة إليه أن القدرة على الزواج ومثونته أمر نسبي . وهو في الغالب الأعم ميسور ، وليس المراد به كثرة العرض والمآل والعقار حتى لا يتذرع كثير من الشباب أو الأكثر من أهل الفتاة بالرغبة في كثرة المال والثراء .

ويبراً الرسول - صلى الله عليه وسلم - من كان مستطينا للزواج قادرًا على مؤنه ثم يعزف عنه ويتخل عن سنة ربه وشرعه ففي الحديث « فمن رغب عن سنتي فليس مني » ويقول صلوات الله وسلامه عليه في شأن من كان موسراً مستطينا للزواج ولم يتزوج : « من كان موسراً فلم ينكح فليس منا » .

وما ذلك إلا لأن التارك للزواجه تارك للعمل بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - إذ ليس في الإسلام - أبداً - ترك الزواج . وفي الحديث « لا صرورة في الإسلام » . والضرورة الذي لم يتزوج والذى لم يحج .

- ويُعني الإسلام بتربية المرأة وتعليمها وتهذيبها ل تقوم برسالتها في الحياة خير قيام ولتكون أمًا فاضلة تنشيء جيلاً فاضلاً . ولا يترك الإسلام شأن المرأة دون أن يفصل ويوضح شأن بعض النساء من الجواري وأنهن في الإسلام تكريماً وعناء فائقة وأن الإسلام نظر إلى شأن الجواري نظرة إنسانية حانية تتسم بالاعطف والحنان والشفقة فيقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة يؤتون أجراً لهم مرتين عبد أدى حق الله وحق مواليه فذلك يؤتي أجراً مرتين . ورجل كانت عنده

جارية وضيئه فادبها فاحسن أدبها ثم اعتقها ثم تزوجها يتغى بذلك وجه الله  
فذلك يؤرق أجره مرتين ورجل آمن بالكتاب الأول ثم جاءه الكتاب الآخر فامن  
به فذلك يؤرق أجره مرتين » .



## ﴿ الزواج بين التحليل .. والتحريم ﴾

وضح القرآن الكريم ، نظم العلاقات الزوجية ، وبين الحلال والحرام ، حتى يكون الرباط الأسري موثقاً وأكيداً ومحترماً ومصوناً من كل دنس وهو ، نقياً من أية شابتة من الشوائب .

وبين الله تعالى بعض ما كان معمولاً به في الجاهلية فجاء الإسلام فقضى عليه ونقى مناخ الأسرة من كل فساد وانحراف حتى تقوى أسس البيئة الأسرية من أول وهلة قال الله تعالى : « ولا تنکحوا ما نکح آباؤکم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وسأه سبيلاً » .

والملق في قوله : « إنه كان فاحشة ومقتا » البعض فهو أمر كبير في نفسه ، وبؤدي إلى مقت الابن أباه ، بعد أن يتزوج بامرأته فإن الغالب أن من تزوج بأمرأة يبغض من كان زوجها قبله ..

وكما قال الحافظ ابن كثير : وهذا حرمت أمهات المؤمنين على الأمة لأنهن أمهات لكونهن زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو كالأب ، بل حقه أعظم من حق الآباء بالاجماع ، بل حبه مقدم على حب النفوس صلوات الله وسلامه عليه .

ثم ذكر القرآن الكريم بعد ذلك المحرمات من النسب . ومن الرضاع والمحرمات بالشهر وذلك في قول الله سبحانه وتعالى « حرمت عليکم أمهاتکم وبناتکم وآخواتکم وعماتکم وخالاتکم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتکم اللاتي أرضعنکم وآخواتکم من الرضاعة وأمهات نسائکم ورباتکم اللاتي في حجورکم من نسائکم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليکم وحلائل أبناتکم الذين من أصلابکم وأن تجتمعوا بين الأخرين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيمـاً والمحصنات من النساء إلا ما ملكت إيمانکم » . وفيها رواه ابن أبي حاتم - بسنده - عن ابن عباس قال : « حرمت عليکم سبع نسباً وسبعين صهراً » . وقرأ : « حرمت عليکم أمهاتکم وبناتکم وآخواتکم ... » الآية .

ومن أنواع المحرمات : الشركات من عبادة الأوثان قال الله تعالى : « ولا تنكحوا الشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من شركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه وبين آياته للناس لعلهم يتذكرون » .

ومن أنواع المحرمات كذلك : البغایا : وهن اللات يجاهرن بالفاحشة ويتكسبن بها . قال الله تعالى : في تحريم هذا النوع : « الزان لا ينكح إلا زانية أو شركة والزانية لا تنكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين » . وأما بالنسبة لما أحله الله تعالى من النساء . فقد ذكره سبحانه بعد بيان المحرمات

في قوله : « وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تتبعوا بأموالكم محسنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليها حكيمًا . ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحسنات المؤمنات فمن ما ملكت إيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضهم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محسنات غير مسافحات ولا متخذات أخذان فإذا أحسن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحسنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم » .

وما أباحه الإسلام الزوج بالكتابيات وهذا من تسامح الإسلام الذي لا مثيل له ولكن المسلمة أفضل ، وال المسلمة ذات الدين والخلق أفضل من آية مسلمة لا خلق لها ولا دين ، وفي الحديث . . . « فاظفر بذات الدين تربت يداك » . وفي شأن الكتابيات قال سبحانه : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحسنات من المؤمنات والمحسنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم إذا آتتكم أجورهن محسنين غير مسافحين ولا متخذى أخذان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين » .

والإسلام دائماً وأبداً يوجه المسلمين إلى تحرير الزوجة من أطيب العناصر ، من الحرائر المؤمنات - العفيفات - حفاظاً على صلاح الأسرة .

## وهذا الضلع .. الاعوج !!

لكل فرد من أفراد الأسرة حقوق وعليه واجبات وقد نظم الإسلام العلاقات الأسرية تنظيمًا دقيقاً عكماً ، وجعل لها من الضوابط ما تستقيم به حياتها وتتنظم به في حياتها الإجتماعية .

وأول أفراد الأسرة وأولاهم بذلك إنما هما الزوجان ، إذ هما الأصل الذي تصدر عنه علاقات الأبناء وتنطلق منه خطأهم في المجتمع .

ولذا عنى الإسلام بحقوق كل من الزوجين فجعل للرجل حقوقاً وعليه واجبات وجعل للمرأة حقوقاً وعليها واجبات ، فالغاية المنشودة في الأسرة الإسلامية تتركز في حياة المودة والسكنينة والهدوء والطمأنينة ، فتسكن الزوجة إلى زوجها ويسكن الزوج إلى زوجته وتشرق بينهما حياة ظليلة تكتنفها المودة والرحمة كما قال الله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » . إنها الحياة الآمنة التي لا تلاحقها المخاوف . الحياة المطمئنة التي لا تزعجها القلائل . يعيش فيها الزوجان وكل منها ستار للآخر يقى صاحبه الجنوح إلى الخطأ أو الانحراف ، وبقيه أن يذل ويطغى إن كلاً منها في أشد الحاجة إلى صاحبه . وهذا هو السر في التعبير القرآني والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى : « هن لباس لكم وأنتم لباسهن » .

وللزوجة حقوقها المشرعة التي صانها الإسلام وحافظ عليها ودافع عنها وتلاحت وصاياه بها . لما لها من أهمية قصوى في حياة الأسرة . لها حقوقها من مهر وملبس ومسكن ونفقة وغير ذلك مما هو مبسوط في كتب الفقه الإسلامي بتوسيع ، وحسبنا في هذه العجلة أن نشير إلى بعض وصايا الإسلام بشأن المرأة فنبه الإسلام إلى ضعفها وإلى أنها خلقت من ضلع أعوج . وليس في وصف الإسلام لها بأنها خلقت من ضلع أعوج ما ينقص من قيمتها . لقد كفل الإسلام حقوق المرأة في جميع مراحل حياتها وفي كل أدوار تكوين الأسرة ولا يقلل الوصف من قيمتها ولا يحيط من منزلتها .

ولذا نجد أن الحديث الشريف الذي ذكر وصف المرأة بالعوج . قدم هذا الوصف بتأكيد الوصية بالنساء وجعل وصفهن بالعوج كسبب للوصية ليكون الاحترام الأسري والتعاطف والمودة ثم أزدف الوصف كذلك بالوصية بالنساء .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلَا يَكُلُّمُ بِخَيْرٍ أَوْ لِيُسْكُتْ » ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وأن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، إن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزد أعوج استوصوا النساء خيرا .

كما أمر الله تعالى بالمعاشة بالمعروف في قوله تعالى : « وَاعْشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ » وأشار إلى تعظيم حقوقهن في قوله : « وَأَخْذُنَ مِنْكُمْ مِثَاقًا غَلِيظًا » . وكان آخرها وصيّ به رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثلاثاً كان يتكلّم بهن حتى تجلجج لسانه وخفى كلامه جعل يقول : « الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيّاً ملك لا تتكلفوهم ما لا يطيقون . الله الله في النساء فإنهن عوان في أيديكم (يعني أسراء) أخذنوهن بأمانة الله واستحلّلت فروجهن بكلمة الله » . ولقد كان رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أرحم الناس بالنساء والأطفال وفي الحديث يقول أنس رضي الله عنه كان رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أرحم الناس بالنساء والصبيان .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يزيد على الاحتمال بالمداعبة والمزح والملاءعة تطبيباً لقلوبهن حتى روى أنه - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يسابق عائشة في العدو فسبّقته يوماً وسبّقها في بعض الأيام فقال عليه الصلاة والسلام (هذه بتلك) . وقالت عائشة رضي الله عنها : « سمعت أصوات الناس من الحبشه وغيرهم وهو يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أتخيلين أن ترى لعبهم؟ قالت : قلت : نعم . فأرسل إليهم فجاءوا وقام رسول الله بين البابين ، فوضع كفه على الباب ومدّ يده ووضع ذقني على يده وجعلوا يلعبون . وأنظر وجعل رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول : حسبي وأقول : اسكت مرتين أو ثلاثة ثم قال : يا عائشة حسبي .. فقلت : نعم فأشار إليهم فانصرفوا » .

وجاء تأكيد الإسلام على حقوق الزوج بصورة حاسمة واضحة غاية في التأكيد على وجوب طاعته ففي الحديث يقول رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « لوأمِرْتُ أحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمِرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عَظِيمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا » .

ومعلوم أن السجود لا يكون إلا الله رب العالمين . ولكن الحديث يؤكّد الوصيّة بحقوق الزوج وطاعته وعدم إهمال حقه . بحالٍ من الأحوال من قبيل المرأة فقد تعرّض لها أسباب أو تخدعها مغريات فتهمل في حقه أو تقصر في طاعته وقد تتغير به الأيام وقد يتغير اليسر إلى عسر وقد تتغير الصحة إلى مرض فأحداث الحياة كثيرة وتقلّبها متعددة لا تقع تحت حصر فهل تتعرض العلاقة الزوجية هذه المؤثّرات وهل تخضع الطاعة هذه الأسباب ؟ كلا فإن الوفاء خلق إسلامي كبير وكما يطالّب الرجل بحقوق المرأة فإن المرأة مطالبة بحقوق الرجل .

وتسدّ تعاليم الإسلام كل التغرات أمام تiarات الغضب وعدم الرضا وغير ذلك من المؤثّرات والأسباب التي تذهب بشيء من حقوق الزوج لدرجة أن الوصيّة بتلك الحقوق تأكّد صيغتها النهائية التي ليس بعدها وصيّة ولا تأكيد فوق ذلك .

فإن السجود وهو متنه الخشوع والخضوع والطاعة لله تعالى . ولذلك كان الإنسان أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد لهذا السجود لو كان يصح - إنفراضاً ومتّسلاً - أن يأمر أحداً لأمر المرأة به طاعة لزوجها . ثم يأكّد التعليّل وتوضيّح السبب في هذا التأكيد . «من عظم حقه عليها» . فالحديث يؤكّد الوصيّة كحق الزوج وطاعته ومن أهم حقوق الزوج حافظة المرأة على دينها وخلقها ومحافظتها على شرفها وكرامتها .

ومحافظتها على مال زوجها وعدم مطالبتها بما وراء الحاجة واتباعها طريق الحلال وتذكيرها لزوجها بذلك . ولقد كان الرجل من السلف . إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته إياك وكسب الحرام . فإنما نصبر على الجوع والضرر ولا نصبر على النار .

وهمَّ رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة ؟ فقالت : زوجي منذ عرفته أكالاً وما عرفته رزاقاً ، ولن رب رزاق ، يذهب الأكال ويبقى الرزاق .

وهذا الموقف من سلفنا لا يعني تقصير الرجل في حق بيته ، ولا إهماله القيام بما يجب عليه نحو أسرته من نفقة ، ولكنه يعني مدى رضا المرأة وقناعتها وعلمها ومعرفتها بأن الرزق من عند الله وما رأى الأسرة إلا سبب مباشر للأكل من هذا الرزق الذي يسوقه الله .

ومن الواجبات على المرأة أن تحفظ مال زوجها ، وإذا أنفقت في غير إفساد كان لها أجرها على الإنفاق ولزوجها أجره بما كسب ، كما جاء في الحديث « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتهما غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب ». وفي الحديث « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

ويُعد الإسلام رضا الزوج من أهم أسباب دخول المرأة الجنة ولكن ينبغي أن نقيد هذا الرضا حيث لا يتعارض مع أمور الدين فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وإنما المقصود برضاء الزوج على المرأة هو حسن معاملتها وأدبها والتزامها بمبادىء الإسلام التي قررها للحياة الزوجية التي تشرق باللمودة والوثام والتفاهم والإنسجام وتنجذب فيها العواطف المخلصة إلى أ Nigel المقاصد وأسمى الأهداف الكريمة .

## عدل .. غير مستطاع !!

وقد أباح الإسلام التعدد : لحكم عالية ، كان التشريع الإسلامي أقام وأحكم وأدق ما يكون فيها .

فمن الرجال من قد تكون امرأته غير منجوبة ، أو بها مرض ويكون هو شديد الرغبة لتلبية حاجته في الحلال وقد يكثر النساء حتى يصلح عددهن أكثر من عدد الرجال لاسيما في أوقات الحروب .

وعندئذ يكون التعدد حلًا لمشاكل عديدة قد تطفو على سطح الحياة الزوجية والأخلاقية بعد ذلك .

ولكن الإسلام حين أباح التعدد أباحه في حدود واشترط له ما تسكن به حياة الأسرة وتطمئن . فقد كان التعدد في أمم أخرى غير مقييد ولا محدد قبل الإسلام قد يبلغ أكثر من أربع زوجات ولكن الإسلام حدد به بحيث لا يزيد العدد عن أربع ومن دخل الإسلام ومعه أكثر من أربع أمر بفارق ما زاد عن العدد و اختيار أربع فقط فعندما أسلم غيلان الثقفى ، وتحته عشر نسوة . قال له النبي - صلى الله عليه وسلم - « اختر منهن أربعاً وفارق سائرهن » .

ثم إن الإسلام إشترط لمن يريد أن يتزوج بأكثر من امرأة أن يأنس في نفسه القدرة على القيام بالعدل بين الزوجات العدل في المسكن والملبس والمطعم والنفقة والمبيت ونحو ذلك . ومن لم يأنس في نفسه القدرة على العدل بين زوجاته

فليس له أن يعذّد ؛ لأن الظلم حرام ، وتفريطه في الحقوق حرام لأن الله تعالى يقول : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » وحذر الإسلام من التفريط في حقوق الزوجات . ومن الظلم وأن عاقبة الظلم وعدم العدل أليمة ونهايته سيئة في الدنيا وفي الآخرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صل الله عليه وسلم - « من كانت له امرأتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيمة وشقة ساقط ». وفي رواية أخرى وشقة مائل . رواه أصحاب السنن .

وكل أمر يستطيع أن يعدل الزوج فيه بين نسائه فلا يعدل فيه يدخل في نطاق هذا التحذير والتهديد الوارد في الحديث ..

وأما الأمر الذي لا يستطيع العدل فيه فإنه محفوظ عنه وذلك هو الميل القلبي . يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : « ولن تستطعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل » . ورسول الله صلوات الله عليه وسلم وهو القدوة كان يعدل بين نسائه غاية العدل ، وكان إذا أراد سفراً أقرع بينهن أى أجرى القرعة بين أمهات المؤمنين فأيتاهن خرج سهلمها سافر بها .

وما ذلك إلا للحفاظ على المشاعر والأحساس وصيانة للقلوب والنفوس . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله - صل الله عليه وسلم - يقسم ويعدل ويقول : « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلعنى فيما تملك ولا أملك يعني القلب » .

وحتى في مرضه صلوات الله عليه وسلم فإنه لم يشاً أن يكون في بيت واحد أو عند واحدة من أمهات المؤمنين دون رضا الباقيات فنراه قد استاذنهن أن يكون عند عائشة رضي الله عنها . فأذن له صل الله عليه وسلم ..

فمن عائشة رضي الله عنها قالت : بعث رسول الله - صل الله عليه وسلم في مرضه إلى نسائه فاجتمعن فقال : إن لا أستطيع أن أدور بينكن فإن رأيتُ أن تاذنْ لي أن أكون عند عائشة فَعَلْتُ فآذنْ له .

## ونشوز .. بعض الرجال !!

لشون الأسرة أهميتها الكبيرة فيسائر الجوانب المتعددة وقد عن القرآن الكريم بها وحفلت آياته билيات بما يوضح حقائقها ويضيء الطريق الصحيح

أمام المجتمع الإسلامي . ليتحقق العدل الإلهي فيها يتصل بسائر الحقوق والواجبات .

قال الله تعالى : « ويستفونك في النساء قل الله يفتיקم فيهن وما يتل عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاق لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليها » .

وقد كان الناس يستفون رسول الله - صل الله عليه وسلم - في النساء . وما يتعلق بهن من ميراث . فيرد الله سبحانه وتعالى على طلبهم هذا . . ويأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم . . ويخبرهم بأن الله بنفسه هو الذي سيفتيهم : « قل الله يفتكم فيهن » وذلك بما جاء في القرآن من أحكام الميراث كما أنه يفتهم في شأن يتامى النساء . . حيث لم يعطوهن في الجاهلية حقوقهن . وبقيت هذه الرواسب في النفوس فسألوا عنها . .

وقد كان أولياء اليتامى يرغبون عن نكاحهن إذا كن دميات ويعضلوهن أن يتزوجن طمعا في الميراث ، وكذلك بالنسبة للصغار المستضعفين من الولدان فأمرهم الله تعالى بالعدل في المهر وفي الميراث . . وإذا لم يحققوا العدل فإن الله عليهم بكل أفعالهم وتصرفاتهم وظلمتهم فيجازهم على ذلك .

وعن عائشة رضي الله عنها « ويستفونك في النساء قل الله يفتكم فيهن » . . إلى قوله « وترغبون أن تنكحوهن » قالت عائشة . هو الرجل تكون عنده البييمة هو ولها ووارثها فأشركه في ماله حتى في العذر فيرغب أن ينكحها أى إنه لا يريد زواجهها لدمامتها ويكره أن يزوجهها رجلاً فيشركه في ماله بما شركه فيعضلها فنزلت الآية .

وتكشف لنا آيات القرآن الكريم عن ظاهرة النشوذ في بعض أشكالها . . فإنها كما تكون في المرأة تكون في الرجل فما حكم من توقعت من زوجها نشوذا . . وخافت ترفعه عليها والتقصير فيها لبغضها أو الإعراض عنها بوجهه ؟ عن هذا يجيب القرآن الكريم في قول الله تعالى : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوذاً أو إعراضًا فلا جناح عليها أن يصلحا بينها صلحًا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشع و إن تحسنوا وتنقوا فإن الله كان بما تعملون خيرا » .

إن القرآن الكريم يحيب على مثل ذلك بقوله : « فلا جناح عليهما أن يصلحا بينها صلحا » في القسم أو في النفقة مثلا : فترك الزوجة له شيئا رغبة في الاستمرار والبقاء هذا إذا كانت راضية بذلك وإلا فعل الزوج حينئذ أن يوفيها حقها أو يفارقها .

ويوضح الله تعالى .. بأن الصلح أفضل الحلول وخير من الفرقة ومن الإعراض والنشوز كما يكشف - القرآن - عما طبعت عليه النفس البشرية وما هو كامن في جيلتها من شدة الحرص والشح « وأحضرت الأنفس الشح » ولكن ليس معنى هذا الوقوف عند حدود هذا الجانب المادي .. ولا أن يكون التعامل بإعتبار ذلك فحسب .

فهناك جانب آخر أسمى وأرقى .. إنه جانب الإحسان والتقوى الذي يمسك بزمام الإنسان ويوقظ فيه الضمير الديني والإحساس بأن الله عليم بكل شيء خبير بكل مايعلمه « وان تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خيرا ». .

فإذا تجشم الرجل مشقة مغالبة النفس ومصابرتها على ما يكره من زوجته وأعطها حقها وعاملها بالحسنى فله عند الله العليم الخبر أوفر الجزاء .

ثم يضع الإسلام حقيقة واقعية أمام العين لا يستطيع الإنسان أن ينكرها بحال من الأحوال وهي أن النفس ذات ميول .. فقد يميل الإنسان إلى أحدي زوجاته أكثر من الأخرى وبالتالي لا يستطيع أن يحقق المساواة بين نسائه من جميع الوجوه فإذا مال إلى أحدي زوجاته فلا يميل كل الميل في القسم والنفقة وغير ذلك مما يتربى عليه أن يترك الأخرى تشبه المعلقة .. فلا هي أيم ولا هي ذات زوج .

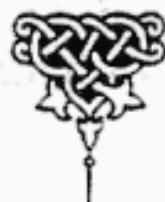
فعلى الزوج أن يقوم بالعدل والإحسان . والإصلاح في القسمة ولا يجور أو يغبن فإنه إن سوى في الحقوق والأمور المتعلقة بالقسمة والنفقة وغير ذلك مما هو ظاهر واضح فإن الله يغفر له ما لا يملكه من الميل الذي في قلبه ويرحمه إذا سار على العدل والإحسان قال الله تعالى : « ولن تستطعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتندورها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحينا » .

أما عندما تستحكم الجفوة بين القلوب .. فإن الإسلام لا يرضى للعلاقة الزوجية أن تتأرجح بالنفور والكرابية .. وتظل مجرد علاقة في الظاهر لا غير بينما

هي في الحقيقة انفصال وجفاء لا يُنكره الإسلام أحد الزوجين على حياة لا تطاق فعندما تنفذ كل وسائل التوفيق والإصلاح والمودة والرحمة .. أو الصبر والإحسان . عندما ينفذ ذلك كله .. فإنه لا مفر من الفراق وحينئذ يتولى الله الأمور بحكمته وباٌپراه أصلح . فهو يعد كلاً منها بأن يغنيه من فضله . « وإن يتفرقا يغرن الله كلاً من سعته وكان الله واسعاً حكيمًا » .

ثم تعقب آيات الله البيانات على ما سبق من تقرير المبادئ الإلهية وما يتصل بأحكام الأسرة وشئونها مبينة أن الله بيده مقاييس كل شيء وهو المالك والحاكم والمتصرف في كل ما يتصل بشئون السموات والأرض .

فجدير بعباده المخلوقين أن يتقوه .. ويطيعوه .. ويخافوا عذابه قال تعالى : « والله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن انقوا الله وإن تكفروا فإن الله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنياً حميداً » . وهذا التعقيب الذي جاء بعد بيان ما يتصل بشئون الأسرة من أحكام ومبادئ يدل على أهمية شئون الأسرة وما يتصل بها بحيث لا يصح التهاون فيها ، أو التفريط في حق من حقوقها .



## ❖ البيت الزوجي .. له أسرار ❖

للعلاقة الزوجية حرمتها ومكانتها ، فهي علاقة سَكِّنٍ ومودة ورحمة ، فدائرة العلاقة الزوجية في رحابتها وامتدادها تنبثق منها معانٍ رفيعة رائدة .. . فهي ليست محصورة في الجانب الحسي ، وعلاقة الجسد ، بل إن وراءها المحافظة على بقاء النوع الإنساني والاستعفاف والتراطط القوى بين كل من الزوجين وبين كل من الأسرتين . مما يعمل على إثارة التواصل ، وتنمية وشائج القرب والرحم .. . وهذه الصلات وما لها من روابط وثيقة ، تترعرع في ظلال المودة والرحمة التي أفاءها الله تعالى على تلك العلاقة الوثيقة . ولما كان للعلاقة الزوجية هذه المنزلة ، كانت جديرة بأن تحاط برعاية فائقة وعناء بالغة ، فكل من الزوجين ، زينة وستار للأخر وسكن ولباس كما قال الله سبحانه : « هن لباس لكم وأنتم لباس هن ». .

وعن ابن عباس وغيره في معانٍ هذه الآية « هن سكن لكم وأنتم سكن هن ». .

وقال الربيع عن أنس : « هن لحاف لكم وأنتم لحاف هن ». . وهذا الرباط المقدس حرمه التي يجب أن تصنان وأن تحفظ وتستمر بحيث يصان البيت الزوجي عن كشف شيء منه ، بل يظل داخل حالة المودة والرحمة والمحافظة والرعاية . فالمرأة المسلمة الصالحة مطيعة لزوجها ، تحفظه في غيبته في نفسها وما له قال الله تعالى : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ». .

وفيها رواه ابن جرير عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صل الله عليه وسلم - : « خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتكم وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها وما لها ». . قال : ثم قرأ رسول الله - صل الله عليه وسلم - هذه الآية « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ». . وليس أمر المحافظة على هذا الجانب فحسب . بل ثمة جوانب أخرى يجب الوقوف عندها . فمن ذلك أسرار المأكل وغيره مما يكون عادة في البيت من

الفاكهة وغيرها ، فإن كان الموجود قليلا ، فليكن الرضا وعدم السخط والشكوى ، وإن كان كثيرا ، فليكن الشكر لواهب النعمة ، وعدم التباہي بذلك والتحدث لاسيما إذا كان الجار فقيرا . فإن لم يعطه منه ، فلا أقل من أن يحتفظ بما عنده ولا يخرج بالفاكهة الأطفال ليغيبوا بها أطفال الفقراء .

ومن الجوانب الهامة والجديرة بالمحافظة عليها . . ما يحدث من الخلافات الزوجية وهذا جانب له أهميته في وجوب تضييق دائرة الخلاف ومحاولة علاجها بين الزوجين دون تسرّب خبر منها للناس أو ارتفاع صوت أو ضياع . وقد شرع الإسلام لمعالجة أحوال النشوز والخلاف ما يكفل الأمان السريع للبيت الزوجي وهو علاج يتم - فقط - بين الزوجين بحيث لا تتطاير به الأسباب ولا تكشف معه الأسرار ، وإنما يتم العلاج في سرية تامة وبقواعد دقيقة ومحكمة .

وأما عند توقيع الخطر ، وخوف الشقاق ، وتعرض البيت الزوجي لأسباب التصدع والانهيار ، وحدوث الفرقه ، وما يتربّ عليها من تعرض الطفولة البريئة إلى الضياع ، ففي هذا الموطن يكون تدارك الموقف وعلاجه على نحو آخر . يحدثنا عنه القرآن الكريم في قول الله تعالى : « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلهما إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليّاً خبيراً » .

وهنا ندرك الحكمة العالية في التعبير بقوله - حكماً - فمن طبيعته ومن شأنه وشرطه أن يكون عادلاً صالحاً محبًا للخير .

وعن ابن عباس : أمر الله عز وجل أن يبعثوا رجلاً صالحاً من أهل الرجل ورجلاً مثله من أهل المرأة ، فَيُنْظَرُانِ أَهْلَيْهَا الْمَسِيءِ وَفِي تَسْمِيَتِهِما - بالحكمين - ما يشير إلى أنها يحكمان بالعدل ويتوخيان الصالح العام ، للزوجين وللأبناء ، وبحرصان على خير البيت الزوجي ، ومن شأن - الحكم - أن يحكم بغير رضا المحكوم عليه فلا يؤثر عليه المهوى « ولا تؤثر عليه الانفعالات النفسية لأن رائد العدل والتوفيق بين القلوبين المتنافرين » .

ولنا - هنا - أن نتساءل : هل هذان الحكمان قائمان من جهة الحكم ؟ فيحكمان وإن لم يرض الزوجان ؟ أو أنهما وكيلان من جهة الزوجين ؟ يرى بعض العلماء أنهما وكيلان من جهة الزوجين ؟ كما قال الله سبحانه : « فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلهما » وإن من شأن من هو من أهل الإنسان أن يكون حريصاً

على الأسرار ومحاولة دفتها ، وعدم التشهير بها ، ومن كان من أهل الإنسان كذلك فشأنه إنه مؤمن على الأسرار ، وحربيص على حب الخير والتوفيق والإصلاح .

إن الإسلام حرص على صيانة الأسرار وعدم تعرض أي الزوجين للحرج ، حين يكون الحكم أجنبياً عنه فيخدش الحياء أو تعرض كرامة ومكانة أحدهما إلى الاهتزاز .

وإذا انتقلنا إلى جانب آخر - غير هذا - من جوانب الأسرار الزوجية ، وهو جانب العلاقة الخاصة بين الزوجين . نجد إن الإسلام قد صان هذا الجانب صيانة قوية وحذراً من كشف هذا السر أو الاستهانة بالتحدث به ، كما هو شأن المجتمعات البعيدة عن روح الإسلام ، والتي يتناقلها فيها ضعاف الدين والخلق والحمقى ..

عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والرجال والنساء قعود عنده فقال : لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله ، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها ، فألزم القوم (أي سكتوا وجلين) ، فقلت : أى والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن ، قال : « فلا تفعلوا ، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقى شيطاناً فغشياها والناس ينظرون » . إن تلك العلاقة بين الزوجين أمانة ، فيجب على كل منها أن يصونها ، فمن أخطر ما يكون خيانة تلك الأمانة وإفشاء هذا السر ، حين يُفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرّها ..

## دفعاً للشبهات .. وطن السوء

من التشريعات الإسلامية لصيانة البيت المسلم ، تحريم الخلوة بالأجنبيه منعاً لوساوس الشيطان ، وإبعاداً لهواجس النفس الأمارة بالسوء ، فقد جاء في الصحيحين « لا يخلون أحدكم بأمرأة إلا مع ذي محروم » .

وما حرص عليه الإسلام في هذا الصدد خلوة المرأة بأقارب زوجها كخلوتها بأخري زوجها أو بابن عمها أو ابن خاله . لما في ذلك من التساهل الذي يمكن أن يحدث من أهل القرابة ومثل أقارب الزوج أيضاً أقارب المرأة من ليسوا محارم لها كابن عمها وابن خالها وابن عمتها وابن خالتها فليس لهم الخلوة بها ، يقول

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إياكم والدخول على النساء» ، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال : «الحمو الموت» ، وهم أقارب المرأة . وليس الأمر قاصرًا على ما يخشى حدوثه من فتنه بل لأن في ذلك فتحا لنرا فذ القيل والقال . وإثارة للشبه وألسنة السوء وما يترب على ذلك أيضًا مما لا تحمد عقباه ، وما يترب عليه تخريب البيوت .

ولقد ضرب لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أروع الأمثلة على ذلك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إحدى نسائه . فمر به رجل فدعاه وقال : يا فلان هذه زوجتي ، فقال : يا رسول الله من كنت أظن فيه فإن لم أكن أظن فيك؟ فقال عليه الصلاة والسلام : «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم» .

وبهذا يعطي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه درساً من أقوى ما يكون في دفع الشبهات وظن السوء حتى لا يتعلل أحدٌ ما كائناً من كان بأنه فوق الشبهات .

كما كان لوقف موسى عليه السلام من ابنة شعيب أثره كذلك في البعد عن مواطن الشبهات . وذلك عندما وجهت إليه دعوة أبيها ، فطلب منها أن تسير خلفه وأن تصف له الطريق ولم يكن هناك أدنى شك بين الطرفين في نفسيهما . ولكن الدين في تعاليمه السامية . بعدها عن الشبهات ومنعاً لإثارة الفتنة والكلام ونشرًا للأدب العالي في البيوت المؤمنة لتلتزم الجادة والسير على النهج الأمثل . ومن تشريعات المحافظة على البيت المسلم إلتزام المرأة المسلمة بزيتها الإسلامي الذي يواافق شرع الله والذي يعطي جميع جسدها وألا يكون رقيقاً ولا ضيقاً . فقد جاء في الحديث «أن من أهل النار نساء كاسييات عاريات مائلات ميلات» . وقد دخلت نسوة من بني تميم على عائشة رضي الله عنها وعليهن ثياب رفاق فقالت عائشة «إن كتن مؤمنات فليس هذا بثياب المؤمنات» . والإسلام بهذه التعاليم إنما يريد بناء بيت إسلامي يتسم بالعفة والطهارة والنقاء . وينأى عن الرذيلة والضلاله والمعاصي ما ظهر منها وما بطن .

## ❖ ذرُوسٌ .. من حياة أمهات المؤمنين ❖

فِي حَيَاةِ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ دروسٌ غالٰيةٌ وَغَاذِجٌ مَثَالِيَّةٌ لِلْأَمَهَاتِ وَالزَّوْجَاتِ يَجِبُ  
الوقوفُ عَنْهَا وَالإِفَادَةُ مِنْهَا فِي بَنَاءِ الْأَسْرَةِ الْمُسْلِمَةِ .  
ولَنْبَدَا بِأَوْلِيَّ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ :

هِيَ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بْنَتُ خَوَلِيدٍ بْنِ أَسْدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ قَصْبَى الْقَرْشِيَّةِ  
الْأَسْدِيَّةِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَزَوْجُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهِيَ أُولَى وَاحِدَةٍ تَزَوَّجُهَا  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَأُولَى مِنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ .  
تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ قَبْلَ الْوَحْىِ وَعُمُرُهَا حِينَتَذَّلَ خَسْنَانِ  
وَعَشْرَوْنَ سَنَةً وَكَانَ عُمُرُهَا حِينَتَذَّ أَرْبَعينَ سَنَةً ، وَمَكَثَتْ مَعَهُ أَرْبَعاً وَعَشْرِينَ  
سَنَةً .

وَكَانَ سَبَبُ زِوْجِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْهَا مَا جَاءَ عَنْ  
ابْنِ اسْحَاقَ قَالَ : كَانَتْ خَدِيجَةُ امْرَأَةً تَاجِرَةً ذَاتَ شَرْفٍ وَمَالٍ تَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ فِي  
مَا لَهَا تَضَارِبُهُمْ إِيَّاهُ بِشَيْءٍ تَجْعَلُ لَهُمْ مِنْهُ . فَلَمَّا بَلَغَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ - مَا بَلَغَهَا مِنْ صَدْقَ حَدِيثِهِ وَعَظِيمِ أَمَانَتِهِ وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ ، بَعَثَتْ إِلَيْهِ  
وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ فِي مَا لَهَا إِلَى الشَّامِ تَاجِراً ، وَتَعْطِيهِ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تَعْطِي  
غَيْرَهُ مِنَ التَّجَارِ ، مَعَ غَلَامٍ هُوَ يَقَالُ لَهُ « مِيسَرَةً » ، فَقَبَلَهُ مِنْهَا وَخَرَجَ فِي مَا لَهَا  
وَمَعَهُ غَلامَهَا مِيسَرَةً حَتَّى قَدِمَ الشَّامَ . فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي  
ظَلِلِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ فَاطَّلَعَ الرَّاهِبُ إِلَى مِيسَرَةَ فَقَالَ : مَنْ هَذَا  
الرَّجُلُ الَّذِي نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ؟ قَالَ : هَذَا رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ مِنْ أَهْلِ  
الْحَرَمِ . فَقَالَ لِرَاهِبٍ : مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ قَطُّ إِلَّا نَبِيٌّ ، ثُمَّ بَاعَ رَسُولُ  
اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَلْعَتَهُ الَّتِي خَرَجَ بِهَا ، وَاشْتَرَى مَا أَرَادَ ثُمَّ أَقْبَلَ قَافِلَةً  
إِلَى مَكَّةَ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى خَدِيجَةَ بِمَا لَهَا بَاعَتْ مَا جَاءَ بِهِ فَأَضَعَفَ أَوْ قَرِيبَاً ، وَحَدَّثَهَا  
مِيسَرَةً عَنْ قَوْلِ الرَّاهِبِ وَكَانَتْ خَدِيجَةُ امْرَأَةً حَازِمَةً لَبِيَّةً شَرِيفَةً مَعَ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَا  
مِنْ كَرَامَتِهَا .

فَلَمَّا أَخْبَرَهَا مِيسَرَةً بَعَثَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَتْ لَهُ :  
إِنِّي قَدْ رَغَبْتُ فِيْكَ لِقَرَابَتِكَ مِنِّي وَشَرْفِكَ فِيْ قَوْمِكَ وَأَمَانَتِكَ عَنْهُمْ وَحْسَنَ

خلقك وصدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها وكانت أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثراهم مالا ، فلما قالت لرسول الله - صل الله عليه وسلم ما قالت ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه حمزة بن عبدالمطلب فكلم عمها وقيل كلام أباها ولكن الصحيح أن أباها خويلد كان قد مات قبل ذلك .

وحضر وجهاء قريش وأشرافهم ورؤساؤهم يتقدمهم عمه أبو طالب فتكلم قائلا : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئليء - أى أصل - معد ، وعنصر مصر ، وجعلنا حسنة بيته وسواس حرمته وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس .. ثم أن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجع به فإن كان في المال قُل ، فإن المال ظل زائل وأسر حائل . ومحمد من قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد . وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا ، وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطب جليل .

وكانت السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها قد تزوجت قبل رسول الله - صل الله عليه وسلم - بـ رجلين هما : أبو هالة بن زراره من بني عدى وعتيق بن عائذ . وكانت السيدة خديجة رضي الله عنها أول من آمنت من الرجال والنساء ، وصدقت بما جاء به رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . وقد رزقه الله تعالى منها أولاده : القاسم وهو الذي كان يكتفى به ، وعبد الله ويقال له : الطيب والطاهر ، وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، وأما ولده إبراهيم فإنه كان من مارية القبطية التي أهدتها له المقوس . وقد عاش بنات الرسول - صل الله عليه وسلم - حتى دخلن الإسلام وهاجرن معه إلى المدينة المنورة .

وكان للسيدة خديجة رضوان الله تعالى عليها دورها الكبير في حياة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لاسيما عندما جاءه الوحي ورجع من غار حراء يرجف فؤاده فدخل على خديجة رضي الله عنها فقال زملون فزملوه ، حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة : كلا والله ما ينجزيك الله أبدا .. إنك لتصل الرحم وتتحمل الكل وتكتب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرءاً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب .. الخ القصة .

فمن أنت استنجدت بثاقب فكرها وحصافة عقلها ونقاء قلبها إن ما جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا الحق ، وأن ربه سبحانه وتعالى لا يغريه أبداً واستدللت على ذلك بأمر هي بحق جماع مكارم الأخلاق وأمهات الفضائل وصنائع المعروف - صلة الرحم - ومساعدة من لا يستطيع أن يستقل بأمر نفسه وهو الكل وكسب المدعوم وإكرام الضيف والمعونة في التواب . وهكذا نرى في تصرفها وحسن منطقها واستنادها أعظم القدوة لنساء الإسلام اللاتي يضطعن بمهات الأسرة ويعاون الأزواج على رسالة الحق والخير .

### كانت أول من آمن .. وصدق

لقد كان لأم المؤمنين خديجة رضي الله تعالى عنها دور هام في الدعوة وفي حياة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، تصديقاً له وتخفيفاً عن نفسه وتبنيتها وأماناً واطمئناناً .

فكان تمسح عن نفسه الكثير من الهموم التي كانت تواجهه وتهون عليه أمر الناس الذين كانوا يكذبونه ويردون عليه .

يقول ابن هشام : « وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء به فخفف الله بذلك عن نبيه - صلى الله عليه وسلم - لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد وتکذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها ثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس رحها الله » .

وفي هذا درس بلية للأسرة المسلمة وللزوجة بصفة خاصة أن تقوم برسالتها المترتبة خير قيام وأن تؤدي لزوجها ما ينبغي أن تقوم به من تقوية معنوياته وإزاحة القلق النفسي والطمأنينة من حياته حتى يستطيع القيام بدوره على أتم وجه . فلا تكون الزوجة مصدر قلق وإزعاج وخوف وتعب لزوجها بل عليها أن تقوم برعاية أسرتها وتوفير الراحة للأبناء وللزوج وللأسرة المسلمة خير أسوة بأمهات المؤمنين وبما كان لهن من دور عظيم .

ولقد كان للسيدة خديجة رضي الله تعالى عنها مكانتها العالية ومتزنتها وحسبها فضلاً وشرفاً ومكانة ورفعة سامية في الدنيا والآخرة .

ما جاء عن ابن زرعة قال : سمعت أبا هريرة قال : أتى جبريل النبي - صل الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتاك معها إماء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتاك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومني وبشرها بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ». والقصب : هو اللؤلؤ المجوف - والصخب - الصوت المختلط المرتفع : والنصب : التعب .

ففي هذا كله بشارة للسيدة خديجة رضي الله تعالى عنها بمكانة طيبة في الجنة ، وبيت كريم فيها ، جزاء ما قدمت من إخلاص لله ولرسوله - صل الله عليه وسلم - .

عن عائشة قالت : ما غرت على نساء النبي - صل الله عليه وسلم - إلا على خديجة وأن لم أدركها ، قالت : وكان رسول الله - صل الله عليه وسلم - إذا ذبح الشاة فيقول : ارسلوا بها إلى أصدقاء خديجة قالت : فأغضبته يوما فقلت : خديجة !! فقال رسول الله - صل الله عليه وسلم - (إنى قد رزقت حبها) . وفي هذا الحديث إشارة إلى أن حبها فضيلة .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يكرم كل صديقة لخديجة وكان إذا ذبح الشاة فيقول ارسلوا بها إلى أصدقاء خديجة وفي هذا أو غيره دليل لحسن العهد ، وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير ، في حياته وبعد مماته وإكرام أهل ذلك الصاحب أو الزوجة .

وفي هذا درس للأزواج أن يستوصوا بالنساء خيرا ، وأن يحفظوا لزوجاتهن حقوقهن ، وحرمتهم وعهدهن .

وقد توفيت رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين وكانت وفاتها في رمضان وعندما خس وستون سنة ودفنت بالحجون في مكة المكرمة ، ونزل النبي - صل الله عليه وسلم - حفرتها ولم تكن شرعت صلاة الجنازة ، فرحمها الله ورضي عنها وأرضها .

## القدوة المثل .. في العلم والعمل

ومن أمهات المؤمنين السيدة الفاضلة الكريمة عائشة بنت أبي بكر الصديق عبدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مره بن كعب بن

لؤى بن غالب ، وأمها هي أم رومان بنت عامر بن عمير الكنانية .  
بني بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعمرها تسع سنين وكانت نامية  
الجسم ودخل بها في شهر شوال من السنة الأولى . ولم يتزوج رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - بكرًا سواها .

وقد أرأه الله تعالى إياها في المنام مرتين كما ثبت في السنة الصحيحة . قال  
- صلى الله عليه وسلم - لعائشة . أريتك في المنام مرتين يحملك الملك في سرقة  
من حرير فيقول هذه امرأتك فاكتشف عنها فإذا هي أنت فأقول إن يكن هذا من  
عند الله يرضه . وعندما خطبها النبي - صلى الله عليه وسلم - من أبيها قال : إنما  
أنا أخوك فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - أنت أخي في دين الله وكتابه وهي  
لي حلال .

وقد نشأت منذ باكورة صباها وفجر حياتها ، نشأة ظاهرة مباركة وكبرت  
وترعررت في منزل الوحي فكان طبيعيا أن تجمع كل المحامد الفاضلة والمعانى  
النبيلة ومكارم الأخلاق .

ولقد وهبها الله تعالى عقلا واعيا متفقا ، وذاكرة قوية حافظة ، فكانت عالمة  
بأحكام الشريعة حافظة للأحاديث مستوعبة لأمور الدين وأصوله وفروعه .  
ولقد أخذ عنها الكثير من أحكام الشريعة ، ولاسيما ما كان رسول الله  
صلوات الله وسلامه عليه يصنعه في بيته ومع زوجاته .

يقول مسروق : رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض .  
وقال أبو موسى الأشعري : ما أشكل علينا أصحاب محمد - صلى الله عليه  
 وسلم قط شيء ، فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه على ما .  
 وقد جمعت رضى الله تعالى عنها بين الفقه والعلم وحسن القول والعمل ،  
 يقول عطاء بن أبي رباح : كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس  
 رأيا في العامة .

بيد أن علومها كانت كثيرة وثقافتها العامة كانت شاملة فاستوعبت فقه  
الأحكام ، والطب والشعر . قال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت أحدا أعلم  
 بفقه ولا بطبع ولا بشعر من عائشة .

وأنسذ الزبير بن بكار عن أبي الزناد قال : ما رأيت أحدا أروى لشعر من  
عروة ، فقيل له ما أرواك قال : ما رواي في رواية عائشة ما كان ينزل بها شيء  
 إلا أنسدت فيه شعرا .

وقد جمعت إلى جانب العلم الغزير العمل الصالح ، وكانت كريمة سخية ، تبذل كل ماتملكته ، وتعطى عطاء بلا حدود حتى ولو كانت في حاجة ، إنها الأمثلة العالية في الإنفاق وفي العطاء ، أخرج ابن سعد من طريق أم درة قالت : أتيت عائشة بمائة ألف فرقتها ، وهي يومئذ صائمة فقالت لها . أما استطعت فيها أنفقت أن تستر بدرهم لها تفطرين عليه فقالت : لو كانت ذكرتني . وفيها رواه الإمام مسلم - في صحيحه - عن القاسم بن محمد بن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل قال : وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمه .

ولقد كانت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها . عالمة متفقهة . ملمة بستة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . . . واعية لأحاديث النبوة الشريفة . وهي من أكثر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم - روایة للحديث النبوي الشريف . روی لها عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ألفاً حديث ومائتا حديث ، عشرة أحاديث واتفق البخاري ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين حديثاً وانفرد « البخاري » بأربعة وخمسين و« مسلم » بثمانية وستين .

ولا غرابة في هذا العدد الجم الذي روتة من الأحاديث فقد عاشت في بيت النبوة وعايشت أندى لحظات الحياة في جوار الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومع مضات الإشراق الروحي . وعند غدوات الوحى وروحاته . . . كانت تعيش سعيدة بما ترى واعية لما تسمع ..

وكان مسروق إذا روى عن عائشة قال : حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المبرأة من النساء رضي الله عنها . عم فهى الصديقة وأبوها الصديق رضي الله عنه وكانت لها مكانتها من رسول - صلى الله عليه وسلم - ونزلت براءتها من فوق سبع سماوات . تند روت السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - الكثير الطيب وروت أيضاً عن أبيها وعن عمر وفاطمة وسعد بن أبي وقاص وأسید بن حضير وجذامة بنت وهب وحمزة بنت عمرو ، وروى عنها عمر وابنه عبد الله وأبو هريرة وأبو موسى وزيد بن خالد وابن عباس وربيعة بن عمرو الجرشى والسائل بن يزيد وصفية بنت شيبة وعبد الله بن عامر بن ربيعة وعبد الله بن الحارث بن نوفل وغيرهم من الصحابة .

ومن آل بيتها : اختها أم كلثوم وأخوها في الرضاعة عوف ابن الحارث وابن أخيها القاسم وعبدالله ابن محمد بن أبي بكر وبنت أخيها الآخر حفصة وأسباء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر وحفيده عبدالله بن أبي عتيق وابنا اختها عبدالله وعروة ابنا الزبير بن العوام وبنت اختها عائشة بنت طلحة .

ومن كبار التابعين : سعيد بن المسيب وعمرو بن ميمون وعلقمة بن قيس ومسروق وعبد الله بن حكمي والأسود بن يزيد وأبو سلمه بن عبد الرحمن وأبو دائل وأخرون كثيرون ولقد كان لها دور بالغ في تبليغ الأحكام الشرعية لاسيما النساء جاءت امرأة من الأنصار تسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كيف تتطهر من الحيض ؟ فقال : خذى فرصة من مسك فتبقي بها أثر الدم ، فلم تفهم فاستحي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخذتها عائشة وعلمتها . وتلك مهمة لها أكبر الأثر في التبليغ والتعليم . إذ أن تعليم المرأة للمرأة وخاصة في مثل هذه الأمور يكون أكثر ایضاً وأبعد عن المخرج .

وما يدل على كثرة علمها وفقها ما قاله أبو موسى الأشعري :

ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علماً وتوفيت سنة ثمان وخمسين في ليلة الثلاثاء لسبعين عشرات خلت من رمضان ، وقيل سنة سبع ودفنت في البقيع رضى الله تعالى عنها وأرضها .



## الفهرس

في ضوء السيرة النبوية ..	٥
□ هكذا .. كان قدرها !!	٦
□ في الجاهلية .. القديمة !!	١١
□ زوجات الرسول ..	١٨
□ في العلم .. والأدب ..	٢٩
□ ماذا تفعل نساونا ؟ ..	٣٦
في ضوء القرآن الكريم ..	٤٣
□ من نفس .. واحدة ..	٤٤
□ في المجتمع الإسلامي .. الأول ..	٥٦
□ حرية قبل الزواج .. وبعده ..	٦١
□ المسؤولية .. على قدم المساواة ! ..	٦٩
□ المساواة والتفرقة .. للمصلحة ! ..	٧٤
في ضوء السنة النبوية ..	٨٣
□ قبل الاسلام !! ..	٨٤
□ الأسرة .. دعامة المجتمع ..	٩١
□ الزواج بين التحليل .. والتحريم ..	٩٩
□ البيت الزوجي .. له أسرار !! ..	١٠٩
□ دروس .. من حياة أمهات المؤمنين ..	١١٣

---

رقم الإيداع : ٩١ / ٥٣٥٥

J.S.B.N

٩٧٧ - ٠٨ - ٠١٣٧ - ٠



## هذا الكتاب ؟

إن علاقة الرجل بالمرأة ، وعلاقة المرأة بالرجل تحكمها الآية القرآنية الكريمة : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ .

وعلاقة بهذا التمازج تكاد تجعل من الرجل والمرأة كيانا واحدا ، وشخصا واحدا ، الحقوق والواجبات متبادلة بينهما ، ليكون البيت شركة استثمارية ومؤسسة تربوية ..

ومن الخطأ الفادح تصور أحد الجنسين متميزا عن الآخر أو غريبا عنه أو دونه مكانة ، حتى في مجال الحريات وفي مقدمتها الحرية الدينية ، فقد أباح الإسلام أن تبقى المرأة اليهودية والمسيحية على دينها وهي زوجة لرجل مسلم وأم لأولاده .

وحتى لا يشتبط بعض الرجال فيحاولون هضم ما للمرأة من حقوق ، وحتى لا تختلط الأمور على بعض المترجلات من النساء فتشابه الأمور عليهن ..

تقديم مؤسسة أخبار اليوم هذا الكتاب ، وهي ترجو أن يوفقها الله إلى الإسهام في نشر الثقافة الإسلامية الرفيعة بين الجماهير العريضة التي تتطلع إلى العلم والمعرفة والنور .